فيوتشر إسلام

مجلة لفكر المستقبل الذي يشكل اليوم عالم الغد

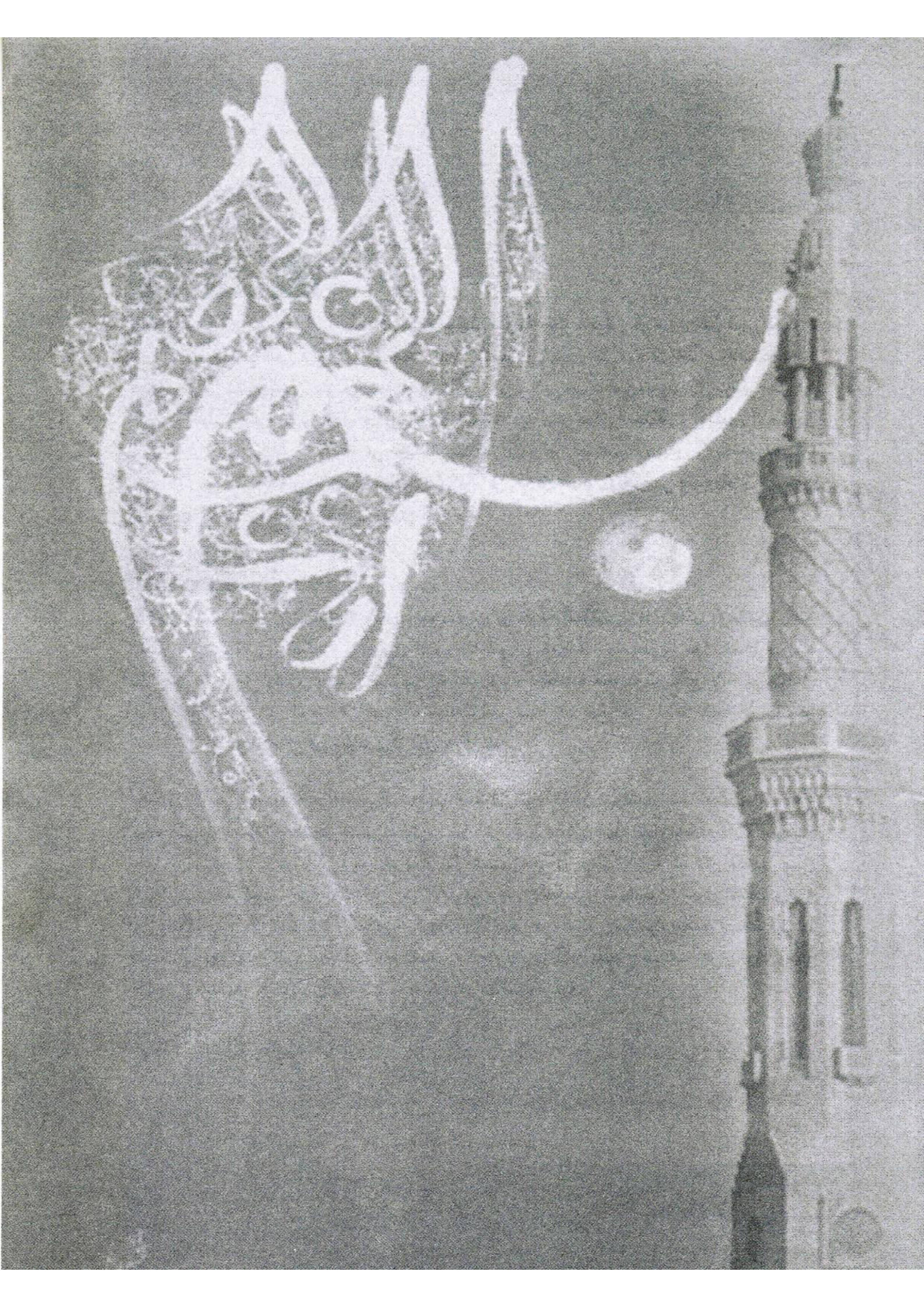
فيوتشر إسلام

مجلة لفكر المستقبل الذي يشكل اليوم عالم الغد

رئيس التحرير

د. راشد شاز

فيوتشر إسلام
www.futureislam.com
Suite 101, Milli Times Buildings, Abul Fazal Enclave I,
Jamia Nagar, New Delhi-110025 India
Tel: +91-11-26926246 Fax:+91-11-26325499
E-mail: edit@futureislam.com



إعلان الإصدار

تصدر المجلة كل شهرين؛ إلا أن موقعنا سيكون مليئا بالحركة حيث سيتمكن كل من يرغب في العودة إلى الإسلام الناصع النقي أو من يحاول فهم الإسلام الحقيقي أن يتبادل الآراء بعقل مفتوح وقلب عفيف؛ فطبيعة تعددية لغات المنبر ستؤدي بنا في نهاية الأمر إلى مجتمع موحد للمؤمنين بالله في إطار نموذج توحيدي حقيقي، ذلك النموذج الذي هو رسالة كل الأنبياء. فهنا منبر يمكّن المسلمين والمسلمين الآخرين (أي النفوس التي أسلمت وجهها لله في أعراف دينية أخرى) وغير المسلمين أن يحاوروا بعضهم بعضا لأجل مشروع نظام عالمي عادل. وستقبل المشاركات عن طريق البريد الإلكتروني فقط ويفضل أن تكون في صورة مستند في برنامج "إم. إس. وورد".

نيابة عنا

الدكتور راشد شاز، رئيس البرلمان الملي (الهند)، وهو في مقدمة المطالبين بإحياء الفكر الإسلامي. وقد ألف راشد شاز أكثر من عشرة كتب حول الفكر الإسلامي وبعضها قد مهّد الطريق حول قضايا حيوية مثل المرأة المسلمة، وتمكين مسلمي الهند من القوة السياسية، والطبيعة التعددية للبرنامج الإسلامي لأجل عالم المستقبل، وقد نشر لتوه دراسة في عدة مجلدات لفهم أسباب التراجع الكبير للأمة باللغة الأردية وهو مستمر في تحريك الأمواج في محيط قراء الأردية الراكد.

والدكتور راشد شاز وجه معروف خلال العقدين الماضيين؛ فقد حاضر ندوات ومناسبات كبرى في البلاد ونظم "البرلمان المِلّي" كما نظم مناسبات كبيرة معبرًا عن آمال مسلمي الهند البالغ عددهم **250** مليونا. وكان يرأس تحرير جريدة "مِلّي تايمز إنترناشيونال" الصادرة في نيو دهلى. زار راشد شاز الكثير من البلدان في جميع أنحاء العالم حيث ألقى عددًا لا يحصى من الأحاديث والمحاضرات حول الإسلام وهو على علاقة بعدد من المنظمات الإسلامية والهيئات الأكاديمية في العالم الإسلامي، وهو أيضًا ناشط وباحث وزعيم ديني يتمتع بقدرات فريدة للتعامل والمشاركة مع أناس يدينون بديانات أخرى. وقد أوضح الدكتور راشد شاز كيف يمكن أن نضع موضع التنفيذ الدعوة القرآنية:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

المحتويات



مقدمة

هذه النسخة المطبوعة من futureislam.com هي عبارة عن مختصر من النسخة الالكترونية للموقع التي تنشر على شبكة الإنترنت بثلاث لغات رئيسية في نفس الوقت هي: اللغة الإنجليزية والأردية والعربية؛ وهذا الموقع الذي يصدر كل شهرين باللغة الإنجليزية يعتبر مشروعًا حضاريًا ضخمًا يهدف إلى بدء مناظرة عالمية حول أهم القضايا الحيوية في عصرنا مثل: لماذا نجد أنفسنا- نحن المسلمين- على شفا جرف هارٍ؟ وما هو مسار التاريخ ومقصده بعد أن تنازلنا – بمحض إرادتنا – عن موقع السيادة والهداية للبشرية؟

نحن نؤمن أننا بصفتنا أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين، وحملة آخر الرسالات السماوية، فإننا منوط بنا قيادة التاريخ حتى يوم الدين؛ وإنَّ تراجعنا عن قيادة العالم لم يجعلنا نفقد صلتنا بعالم اليوم فحسب، بل إنَّ العالم بأسره قد ضل طريقه نتيجة غياب الهداية والقيادة، كما إن غياب القيادة التي تخشى الله حق خشيته قد أدى إلى حدوث الأزمات التي يمر بها العالم حاليًا مثل التنمية غير العادلة، واختلال التوازن البيئي، والاقتصاديات القائمة على التجارة في الأسلحة، والشركات متعددة الجنسيات، وتبعات العولمة، وعدم الاكتراث نهائيًا بمستقبل كوكب الأرض أو البشر الموجودين عليه.

في موقعنا futureislam.com بدأنا مناظرة حامية لمناقشة السبب الرئيسي وراء أزمتنا الحالية، وتعتبر هذه المناظرة الدولية – إلى حد ما – ممارسة حية لعملية نقد الذات يشترك فيها نخبة من أفضل المفكرين على مستوي العالم، والذين يعبرون عن آرائهم بثلاث لغات إستراتيجية رئيسية على مستوى العالم، ونحن نؤمن بأنه بفضل وجود كتاب الله الحكيم الذي لم ولن يعتليه التحريف أو التبديل، فإن عودتنا لقيادة العالم أمر ممكن جدًا شريطة أن نمتلك الشجاعة والحكمة في فهم الوحي بطريقتنا، وذلك كطلبة للهدى والرشاد وليس كمؤسسات دينية؛ فقد عشنا منذ زمن بعيد في عصر أحبار الإسلام، ننصت لإسهامات كبار العلماء في الدين ولا نولى اهتمامًا بما أمرنا به الله مباشرة في كتابه العزيز، وإذا تجاهلنا كتاب الله أكثر من ذلك فإننا نخاطر بديننا.

وإذا كانت مرجعيتنا هي كتاب الله، فإن بزوغ الفجر الجديد ممكن لا محالة، بل ومن الممكن أيضًا إحداث عملية تنوير جديدة بشرط أن نخرج من حالة "عدم النضوج الذي فرضناها على أنفسنا" ونبدأ في دراسة الوحي على طريقتنا التي تناسب واقعنا؛ ويعتبر موقعنا futureislam.com دعوة عامة لكل من يهتم بأزمة عالم ما بعد الحداثة التي نعاني منها الآن، ويشارك الآن في المناظرة العالمية من أجل إمكانية إحداث التنوير علماء مسلمون بارزون ومفكرون كبار من المؤمنين بالله في الأمم الأخرى.

والله الموفق والمستعان

د. راشد شاز
رئيس التحرير



ماذا عسانا نفعل الآن؟

يمر البيت الإسلامي اليوم بمنعطف خطير. والمسلمون في أنحاء العالم يسألون أنفسهم: هل يجب علينا وضع صياغة جديدة لوضعنا التاريخي، أم سنترك أنفسنا للفناء على هامش التاريخ؟ والعقل المسلم مشوّش لدرجة تبعث على الفزع إزاء هذا السؤال الحيوي الهام.

وبإمكان الذين هم على وعي بتاريخنا الممتد عبر القرون، أن يوضحوا حقيقة أن الخطر ليس جديدا علينا وإن كان فريدا من نوعه؛ ويمكنهم أيضا أن يخبرونا بأننا قد سبق وأن قاومنا أوضاعًا مأساوية مماثلة عبر تاريخنا الطويل. ومع أننا نواجه أزمة كبرى ربما تكون الخامسة من نوعها في تاريخنا الممتد، يبدو أنه ليس لدينا أية رؤية مستقبلية؛ أما الأزمات الأربعة السابقة فهي: الفتنة الكبرى التي أدت إلى استشهاد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، وتدمير ونهب بغداد حاضرة العباسيين، وسقوط غرناطة، ونهاية الخلافة العثمانية. إن التبعات النفسية لما يسمى "الحرب على الإرهاب" واحتلال العراق المباشر، واستعمار أفغانستان، وإخضاع ليبيا وإيران، والاستمرار في إهانة باكستان وغيرها من الشعوب الإسلامية في مواجهتها مع الإمبريالية الأميركية، وتغيير علمائنا ومفكرينا دائمًا لمواقفهم تجاه قضايا ذات أهمية إستراتيجية – هذا كله قد عزز الإيمان بأن أزمتنا الفكرية أخطر بكثير مما تبدو للناظرين، وأن فكرنا الديني أكثر تشوشا مما يبدو للعيان. بل الحقيقة هي أننا لا نعرف أين نتوجه من موقفنا الراهن!

لقد ضللنا طريقنا كنتاج منطقي لخروجنا بمحض إرادتنا عن موقع السلطة والتوجيه الذي أسبغه الله تعالى علينا كخير أمة أخرجت للناس. إن الأزمة الأولى في تاريخنا – وهى الفتنة الأهلية التي أدت إلى تضعضع المركز – ألقت بقافلتنا على طريق الأزمات الأبدية. فمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه) لم يؤد فقط إلى ضياع السلطة السياسية، بل أدى هذا الحدث الجلل إلى نفي البيئة المكانية للوحي، تلك البيئة التي عاش يتنفس فيها الجيل الأول من المسلمين. ومنذ ذلك الوقت ونحن المسلمون مستمرون في مسيرة تباعدية عن المركز تبعدنا عن النظرة الكلية إزاء الحياة والكون النابعة من خلال الوحي الإلهي. وبالتالي فإن رسالة الإسلام – تلك النظرية الثورية الصارمة لكرامة البشر وحريتهم والتي اجتاحت العالم في وقت من الأوقات – لم تعد جذابة بسبب الصبغة الجديدة للمسلمين التي اصطبغت بها الرسالة الإسلامية. واليوم عندما نحتاج وبشكل أكبر من أي وقت مضي إلى تلك النظرية الثورية الصارمة الساحرة – ناهيك عن القوة السامية للوحي – في مواجهتنا للقوة التقنية التي



تتمتع بها الإمبريالية الغربية المعاصرة نكتشف أن تلك النظرية قد تحولت إلى مجموعة من الطقوس التي لا حياة فيها.

ونحن الذين وكَّل إلينا أمر قيادة التاريخ حتى نهاية الزمن، نجد أننا لسنا قادرين حتى على إدراك أن أزمتنا ذات بعد كوني. فالعالم بدوننا محكوم عليه بالإخفاق لا محالة. ولكن قبل أن نتقدم لنتبوأ مكانتنا القيادية والإرشادية مرة أخرى، نحتاج إلى أن نقوم بترتيب بيتنا من الداخل، أو بعبارة أخرى أن نعيد استكشاف الضوء الرباني المنبعث عن الوحي الذي أنار لنا الطريق يوما ما.

إن حركة الصحوة الإسلامية التي انطلقت بصخب في النصف الثاني من القرن العشرين، وحالة الابتهاج العامة التي غمرت احتفالات الأمة ببدء القرن الخامس عشر الهجري، حملتنا على الوهم بأن الفجر الجديد على وشك البزوغ. كما أن ظهور منتديات إسلامية وحدوية في دار الإسلام قد قوى الاعتقاد بأن "كومنولثًا" إسلاميًا في المستقبل سوف يضع قافلتنا من جديد على طريق المجد. ولقد ساعد قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وطرد الجيش الأحمر من أفغانستان وما تبعه من انهيار "إمبراطورية الشر" واستردادنا المعجز لدول آسيا الوسطى المسلمة، بالإضافة إلى بعض العوامل الأخرى، كل ذلك قد ساعد على ترسيخ هذا الوهم. ووسط غمرة الأحداث السياسية المتلاحقة تناسينا أن نزاهتنا الأيديولوجية قد انحسرت، وأن عودتنا إلى مركز السلطة والإرشاد سيظل مجرد حلمًا ما لم نرمم من بنائنا الأيديولوجي، وما لم نعد إلى جوهر الوحي.

وحتى الذين رأوا ضرورة إحياء الأمة على أسس دينية، قد تاهوا هم الآخرون في مظاهر خارجية، أو على الأكثر انتهوا إلى تنفيذ رؤية فقهية شاملة مستعارة من زمن غابر. وليس بوسع نموذج "الكومنولث" الأجنبي، أو نموذج "الإسلام الفقهي" أن يقدما البديل للوحي الرباني، الذي وحده يتمتع بإمكانيات تحويل الأمة إلى كيان واحد وإلى بنيان مرصوص كطليعة لوحدة البشرية.

إن العقل الفقهي في جوهره مثير للخلاف؛ فيبدو أنه يسعى إلى إخراج قدر أكبر من الناس من حظيرة الإسلام بأكثر مما يجذبهم إليها. إن الإسلام الفقهي – أو ما يمكن وصفه بالفكر الفتوى – في صورته الكاملة لا يوقف الصحوة الإسلامية فحسب، بل يدفعنا كذلك إلى اصطدام مباشر مع غيرنا من الجماعات الدينية والنماذج الحضارية الأخرى. وتبقى المراكز الإسلامية الحديثة العهد في الحواضر الغربية في أحسن أحوالها قلاعًا حصينة للنزاع المذهبي وممثلة للفرق التي أنشأتها بدلا من أن تمثل رسالة الإسلام العالمية. إن الدعوة القرآنية العامة في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾



من أجل التحالف مع الشعوب الأخرى ذات الفكر المماثل، لا تجد لها تأييدا من الذين انغمسوا في الفكر الطائفي.

لقد وفر لنا وجود المسلمين في الغرب فرصة نادرة للانطلاق "بثورة الوحي" إلي بيوت الغربيين. ولكن ضاعت هذه الفرصة الذهبية وسط الإسهاب في المجادلات حول المسائل الفقهية التي تسعى إلى إنشاء قلاع ثقافية للإسلام ذات التوجه السلفي؛ فالعقل الفقهي قد وضعنا في طريق لا خروج لنا منه رغم توقنا القوي الحالم لإحياء دار الإسلام؛ مما يجعلنا نجد أنفسنا في شرك فجر كاذب.

إنه من السهل اليوم إلصاق أية وصمة بالمسلمين الذين يجدون أنفسهم محاصَرين في فخ الأطماع الاستعمارية لكل من بوش و بلير. ويتساءل العديد منا ممن يلاحظ أن الذين يصارعون من أجل البقاء في جميع أنحاء العالم هم المسلمون وحدهم: هل الإسلام علمٌ على الفوضى والإرهاب الغبي؟ وحتى أولئك المنهمكون في النضال من أجل البقاء تراودهم شكوك قوية عما إذا كانت هذه الإستراتيجية ستؤدي بهم حقا إلى النظام العالمي العادل الذي هو عنوان رسالة الإسلام. إن العقل الفقهي المتمرس على التفكير في إطار "الأبيض والأسود" وفي ضوء المصطلحات التي اجتذبت الأوساط الاجتماعية في العصر العباسي، قد فشل في استيعاب إشكاليات الوضع الجديد وتأثيراتها واسعة المدى على سيكولوجية المسلمين؛ فهذا العقل لم ينقسم فقط إلى أربع مفاهيم أو اتجاهات متوازية، بل وقف أمام عدد لا يحصى من الروايات المتناقضة لأحداث لا تعدو أن تكون ذات أهمية تاريخية. وإذا لم يعد هذا الفكر الفقهي إلى أصل الوحي الخالص، فسوف يضيف إلينا مآسٍ جديدة باحتكارهم لفهم الوحي كما حدث من قبل، على أنه الفهم الوحيد الصحيح للوحي.

وإذا كان النزاع السني الشيعي والحروب الدامية بين الأحناف والشافعية قد تسببا في سقوط الإمبراطورية العباسية في الماضي، فإن نزاعنا الداخلي اليوم مصدر إلهام مستمر لأعدائنا، وما ذلك إلا لأنه يتم إعداد علمائنا وفق مصطلحات طائفية صارمة لدرجة أنه يستحيل عليهم تقريبا فهم الهوية العالمية للإسلام إلا في إطار الفرق والطوائف. لقد انتهى بالنسبة إليهم النموذج الإبراهيمي للإسلام الحنيف.

إن عزلتنا لا يمكن أخذها باعتبارها قضية داخلية خاصة بنا؛ وذلك لأنها قد حرفت مسار التاريخ البشري بكامله. وبالتالي فنحن اليوم في أشد الحاجة إلى نقاش صريح ومخلص ودؤوب حول أسباب اضمحلالنا. وبدلا من الاعتماد على حكمة أرواح فانية، أو الاقتباس دون وعي من قول هذا عالم أو ذاك، فقد آن الأوان أن نخضع عقولنا للنظر مليا في القرآن الكريم بحثا عن هدي جديد لزماننا. وقد يرى البعض هذه الدعوة مقيتة، أو نوعا من الكفر في أن نرى القرآن الكريم برؤية جديدة دون الاستعانة بعقول الماضي العظيمة.



ولكننا على يقين من أن الذين يدركون الرسالة الأساسية لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، تلك الرسالة التي ذكرها القرآن صراحة، والقائمة على تحرير العقل الإنساني من الاستعمار وكذلك من كل أسر وأغلال - فكرية كانت أو غير ذلك - سيقدرون هذه الدعوة حق قدرها بكل تأكيد. إن القرآن الكريم لم يسبغ على أية شخص - كائنا مَن كان - حقا حصيريا ليفسر وحده كلمة الله. بل إن النظرة القرآنية الشاملة للكون والإنسان ترى أن أية محاولة لاحتكار النشاط التفسيري أمر في غاية الكره بل يكاد يكون نوعا من الشرك.

إن وكالة الأحبار والرهبان غير مقبولة بالمرة، ومُدانٌ مَن يحاول اعتراض سبيل كلمة الله أو مَن يحاول أن يحول بين الله وعبده سواء عُرف هذا الشخص باسم "الحاخام" أو "الحبر" أو "البابا" أو "المولوي" أو "الشيخ". فلا أحدَ مخوّل ليقرر من هو صاحب الإيمان السليم أو مَن هو المسلم حقيقي. فالقرآن يحذرنا أبدا من أن نقع في هذا الفخ البغيض؛ فهو حق مقصور على الله وحده؛ قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾.

وكما ذكرنا سالفا، لقد خلقت عزلتنا أعظم نكبات التاريخ؛ لذا كان من الضرورة بمكان أن نفكر فيما يجب علينا أن نقوم به لمعالجة هذا المأزق، ومن يجب عليه ذلك، وكيف، ومتى؟ ولدراسة هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة الحيوية في حاضرنا قررنا أن ننشئ منبرًا عالميا للمسلمين الذين يشغلهم هذا الفكر. وقررنا أن نستفيد من الإنترنت، الذي قضى على معنى الحدود الجغرافية، وذلك بأن ننشر مجلة دولية تصدر كل شهرين خصيصا لدراسة هذه الأمور. وستكون هذه المجلة باللغة الإنجليزية إلا أننا سنقدم ترجمة لموضوعاتها الهامة بالأردية والعربية وغيرهما من اللغات في الوقت نفسه؛ حيث يجب ألا تقف اللغة حاجزًا دون المشاركة في هذا الحوار وهو الأعظم من نوعه في التاريخ البشري.

ونرجو أن تقبلوا دعوتنا المخلصة للمساهمة في هذا المنبر العالمي حول مستقبل الإسلام.

عسى أن يسبغ الله بركاته علينا جميعًا (آمين).



نحو رؤية مستقبلية للإسلام

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم:

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩
وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢
وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾

(سورة التكوير 7-14)

لدى مطالعة هذه الآيات الكريمات من القرآن العظيم، يجد المرء نفسه أمام مشهد كوني يتجاوز ما بعد الحداثة مما يذكره على الفور بشبكة المعلومات الدولية؛ وهنا يختلط تصور الإنسان ليوم القيامة بهذا العالم الدنيوى، هذا العالم الذي طغت فيه الحياة الحديثة على الاتجاه التقليدي؛ ولا عجب أن يمكننا القرآن، وهو كلام الله تعالى، من تصور الماضي والحاضر والمستقبل في رؤية واحدة تشبه كثيراً النظر المفاجئ إلى صاعقة رعدية.

وما كان العجب من خلق فضاء افتراضي بعيداً عن عالم الحقيقة عجباً عادياً؛ فهو عالم يتفاعل فيه ملايين البشر في مناقشة جادة ومدروسة لكل ما يوجد تحت الشمس من قضايا وموضوعات، مما يجعله ظاهرة تسهم وبشكل سريع في تشكيل رؤيتنا نحن بني الإنسان حتى أشد المحافظين بيننا لتلك القضايا؛ ففي عالم الإنترنت لا توجد تلك المرجعيات الدينية الرسمية التي يلجأ الناس إليها طلباً للموافقة على أداء عمل ما، كما أنه عالم يتعذر فيه تطويع الآراء المخالفة أو إخضاع أصحابها بقوة السلاح؛ وفي عالم الإنترنت ليس هناك مدينة عاصمة، ولا حاضرة في دائرة الضوء، أو مناطق مركزية وأخرى ضواحي؛ حقا إنه لأحد مشاهد مرحلة ما بعد الحداثة حيث يتمتع العقل البشرى بالحرية في بناء صورة ذهنية عبر فيض من الخيوط الفكرية الطليقة؛ إنه عالم تقيّم فيه الأفكار على أساس جدارتها واستحقاقها دونما أدنى اعتبار للمنبر الذي خرجت منه أو تنتمي إليه؛ ونظراً لما مني به العقل البشري من إحساس عميق بالخير والشر، فإنه عرضة في هذا العالم الافتراضي لمواجهة الشيطان أو ملاقاة أعدائه على حد سواء؛ وفي



خضم ما نراه من وابل الإجابات التقليدية الثابتة المستقاة من الكتب والمصادر التقليدية القديمة والمعدة مسبقاً للرد على أسئلة بسيطة فإن هذا العالم مليء أيضاً بالكثير من القضايا المستحدثة التي تدعونا أن نفكر فيها بشيء من الحداثة، لقد ساهم عالم الإنترنت في خلق منبر جديد يضج بالأفكار التي تتنوع من مجرد الدعاية الشكلية للمناظرات الأكاديمية الجادة .

وكل هذا مهد الطريق لخلق مسرح يتسع لعقد مناظرات دولية حقيقية تتسم بالوضوح والحرية، ولظهور رسالة الله تعالى واضحة جلية دون اصطباغها بأي صبغة جغرافية أو ألوان محلية أو ثقافات قومية؛ فالإسلام هو رسالة الله تعالى إلى البشرية، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو البشير النذير للعالم كافة، فأين يمكن لهذه الرسالة ونبيها أن يجدا تقديراً أفضل مما يمكن أن يقدمه عالم الإنترنت؟ فالعقل المسلم التقليدي ما زال في حيرة لأن الاتجاه الجديد أودى بالطرح القديم الذي كان يقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الكفر إلى طي النسيان؛ إذ بات من ضروب المحال العيش في جزر منفصلة منغلقة عن العالم ولا تتصل ببعضها؛ فهؤلاء المولعون بالنظر إلى العالم من وراء نظارة الثقافة أو بالتعرف على رسالة الله تعالى من خلال الثقافة العربية ربما لا يستريحون بالاتجاه الجديد الرامي إلى الفهم الحر لرسالة الله تعالى من خلال صفحات الإنترنت بعد تحريرها من الصبغة الثقافية القومية؛ فالقول بأن الإسلام دين شرق أوسطي بات فكراً آخذاً في الذبول والتلاشي ونفس الشيء ينطبق على العرض التقليدي للإسلام الذي يقدمه مفسروه المبجلون بعد أن ألبسوه عباءة الثقافة العربية.

ففي بعض أحقاب الضعف في تاريخ المسلمين، كان مفكرونا وعلماؤنا يعتقدون أن الطريق الوحيد لضمان بقاء الإسلام يكمن في حماية المظاهر الخارجية والأشكال التقليدية لأسلوب الحياة، وربما كان كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم" لمؤلفه ابن تيمية – والذي يعتبر محاولة بائسة لإيقاف انحطاطنا – هو الوثيقة الأكثر إفصاحاً عن تلك الرؤية التي لم توضع موضعها السليم؛ فنوعية الإسلام الذي ينبثق من أمثال هذه الأطروحات يعنى في المقام الأول بمظهر اللباس والولع بالنأي عن "الآخر"؛ إن هذا التقليد الزائف عديم القيمة – وهو مجرد إسناد جيد باعتراف ابن تيمية نفسه – قد أصبح عاملاً فاعلاً في تشكيل العقل الإسلامي في عصر الانحطاط؛ إن ارتباط الإسلام بالثقافة العربية والنظر إليه من خلالها قد أحدث شكوكاً خطيرة في دعوى عالمية رسالته، بل وأدى إلى وقف سير الدعوة في المناطق غير العربية؛ ولقد كان تأثير هذا الطرح بالغ التأثير حتى وجد له صدى في أماكن مختلفة عبر العصور؛ ففي الهند مثلاً نجد أن أحمد سرهندي وشاه ولي الله كانا يعتقدان أنه من الواجب على المؤمنين مقاومة أي شيء غير عربي واعتبار مكمن الفخر في كل ما هو عربي؛ ولكن مما يؤسف له أن هذا المظهر العربي الخاص بالنسبة للإسلام أضحى أمراً طبيعياً لدرجة أن كثير منا اليوم لا يكاد يستطيع



تصور المسلم الحقيقي من غير ثوب عربي أو زي شرقي. فعلى مدى قرون طوال ونحن يقال لنا أن لبس ثوب غير عربي أو قص الشعر بطريقة غير عربية قد يؤدي إلي بطلان عقيدة المسلم، بل وحتى تعلم لغة أجنبية لم يكن عن ذلك ببعيد؛ واستناداً إلى دعاة هذا الفكر لهذه التقاليد الموضوعة أصبح تعلم اللغة الفارسية حراماً، وعلى ذلك فإن تلك الرؤية التحريمية بكل ما تنضوي عليه من مضامين ينبغي أن تنطبق في عصرنا على اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللغات الأجنبية الأخرى؛ ذلك لأن ثمة اعتقاد خاطئ كان سائداً، وكما ارتآه ابن تيمية، مفاده أن اللغة الفارسية تدخل المرء إلى مسالك النفاق، بل والأنكى من ذلك – حسب هذا الاعتقاد – أن المسلم إذا استوطن غير أرض المسلمين فإنه سيحشر يوم القيامة في زمرة الكافرين.

إن هذا العرض الجغرافي والثقافي لدين عالمي لم يلزم المسلمين فقط بالانضواء داخل حدودهم النفسية التي هي من صنع أيديهم، ولكنه أيضاً أوجد نوعاً من كراهية الآخر والخوف منه، الأمر الذي يناقض صحيح دعوة القرآن لخلق مجتمع كوني واحد على أساس التوحيد. لقد كان الداعمون للمنظور التوحيدي الجدد يدّعون أنهم دون غيرهم أول من عبد الإله الواحد الحق، غير مدركين لما ينطوي عليه هذا الاتجاه المنغلق من مضامين سلبية؛ فلقد اعتاد الموحدون الجدد أن يدفعوا بقولهم: "أجمع أهل السنة والجماعة أن المسلمين العرب لهم أفضلية على غير العرب"، وهذه المقولة غير المسئولة إلى جانب أنها تمثّل خيانة لتعاليم الإسلام فهي تعبّد الطريق لصراع العرب مع غير العرب، وصراع الشرق مع الغرب.

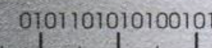
وفي ذلكم العالم دائم الانكماش بات الخيار الأوحد أمام المؤمنين أن يواكبوا غيرهم بالعيش في نفس الكوكب جنباً إلى جنب مع غير المؤمنين؛ مما يحدو بنا أن نعيد النظر في فهم الموحدين الجدد للإسلام؛ فبجلوس الشخص المؤمن في مقهى للإنترنت بمدينة عربية كالقصيم أو الرياض فإنه يتفاعل في نفس العالم مع ملايين من الغرباء عنه بالكلية؛ أي أمر يمكن أن يثير حفيظة البعض أكثر من أن يختلط المؤمنون بغير المؤمنين والرجال بالنساء في غرفة حوار إلكتروني خاصة؛ ورغم ما ينطوي عليه ذلك الحديث من مخاطر فقد أضحى أمر لا يمكن تفاديه.

ولا يمكننا لوم الموحدين الجدد دون غيرهم بتبني عقلية الفكر المنغلق؛ فهناك أيضاً الصينيون والهنود واليهود والأمريكيون، وكلهم يدعي حقاً منفرداً عن الآخرين في القرن الحادي والعشرين. فقد مرت بعض الأحايين التي أخذ كل منهم يفكر في دائرة فلكه القومي المحض بل وفي وطنية عدوانية؛ وكان السؤال الحيوي الذي فرض نفسه على الكثير منهم هو: لمن تكون الغلبة في القرن الحادي والعشرين؟ وفي وضع تسود فيه طنطنة القومية على تصور " الآخر"، فليس مستغرباً أن تشعر طائفة من المسلمين بعد انهيار

"إمبراطورية الشر" أن المعوق الأوحد لقيام دولتهم هم "الأمريكيون الأشــرار"؛ وعليــه فــإن علــيهم أن يخططوا لسقوطهم؛ وبينما يبدو وجود هذا الاتجاه نتيجة طبيعية لما يجري في العالم؛ فإنه يضائل من أملنا في المستقبل؛ فلو تصور الملهمون من المسلمين المتدينين- والذين ما زال لديهم تــصور ملتــبس عــن تخويلهم مسئولية قيادة التاريخ حتى نهاية العالم- لو تصور هؤلاء مستقبل عالمنا من منظور الهيمنة، فأين يستطيع المرء أن يجد ملجأ حينئذ؟! لقد جاء الإسلام لتحرير البشرية من كافة أنواع الهيمنة، ولو آل الأمر بالمسلمين أن يكونوا في مواقع الهيمنة بدلاً من "هيمنة الآخر"؛ فإن ذلك سوف يقوض جوهر وجودهم.

لقد حان الوقت أن نبلور رؤية مستقبلية لعالم لا تتاح فيه الفرصة لطائفة بعينها أن تهيمن دون غيرها على مجريات الأمور، بل عالم يتوحد فيه الجميع كأسرة واحدة تعبد الإله الواحد؛ بهذا المنحى المعتدل ولطرح رؤية الإسلام قدماً وبشكل فاعل، بات لزاماً على المسلمين أن يخرجوا من دائرة تقوقعهم التقليدية. وإذا لم ندرك أننا أيضا لدينا رؤوساً تعلو هاماتنا كتلك التي كانت لأسلافنا، وأن وظيفة رؤوسنا لا تكمن في وضع القبعة أو الطربوش عليها؛ فإننا لن نستطيع أن ننحي الغثاء الفكري الذي جعلنا نجمعه بمحض إرادتنا طوال قرون من الإبحار الفكري السحيق؛ وأما أولئك المولعون باستخدام مسميات نحو: "الفن الإسلامي"، الفلسفة الإسلامية"، العمارة الإسلامية" إلخ ... سوف يكون تحدياً كبيراً لهم أن يقروا أننا كــ "أمة مسلمة" لم نخول بإبداع ما قمنا به فعلاً من تشييد بغداد العباسية العظيمة، أو إسبانيا الإسلامية ذات البهاء؛ فالأمر لا يحتاج سوى أن يتحول المرء للنموذج الذي أصل له الإسلام ليدرك أن روعة الجمال المعماري لتاج محل والعجائب الأخرى للهند المغولية والتي تذكرنا أحيانا بماضينا المجيد ليست سوى انحرافا عن الدرب النبوي الأصيل.

فالعقل التقليدي الذي ينظر إلى الإسلام على أنه "عبق التاريخ" يقر أيضاً بأنه "دين سماوي"، ويرى أن الوصف الأخير يجب أن يفهم في تناغم كامل مع المعنى الأول، الأمر الذي يشكل تحدياً هائلاً أمام عودتنا إلى الإسلام القويم. لقد تولدت في أذهاننا القاصرة تشويشات هائلة عن طبيعة الإسلام ووظيفته؛ فنجد على سبيل المثال أن محاولة إحياء الثقافة العربية أو الثقافة الشرقية في الغرب قد أظلتها قداسة دينية؛ فحركات التحرر القومي في مختلف أنحاء العالم يتجشمها المسلمون كنوع من الجهاد تفرضــه علــيهم التكــاليف الشرعية؛ وحقاً فإن الأمة الإسلامية اليوم هي أسوأ الضحايا على الإطلاق لطغيان بوش وبلير؛ وكذلك فإن الواقع يقول أن أمة دائمة المصاب بجراح جديدة لها الحق في أن تكافح وتقاوم ما استطاعت إلــى ذلــك، ولكن رؤية مستقبلية وتطلعاً لكل ما نصبوا إليه كأتباع لآخر الشرائع السماوية يجب أن تكون أعمق مــن مجرد عمليات الخلاص الذاتي، فلا ريب أنّا كنا من انتهكت آدميتهم في خليج جوانتانــامو وســجن أبــو غريب، ومن أحرقوا أحياء في شوارع جوجارات؛ إن دمنا هو الدم المسفوك بشكل يومي فــي فلــسطين




وبقاع أخرى؛ وكذلك يجب أن لا ننسى في أقصى لحظات انفعالنا أننا لن ننزل بالآخرين ما فعلـوا بنـا؛ حاشا لله! فنحن لا نستطيع أن ننغمس في مثل هذا الانتهاك الآدمي للبشر أو أن نزهـق أرواح الأبريـاء؛ وهذا هو مصدر قوتنا.

ففي عالم أرسى فيه القادة الدينيون- ومنذ زمن طويل- طريقة تناول أي قضية على من منظور مجتمعي يهدف لحماية مصالح المجتمع في المقام الأول أكثر مما يعنى بحماية الحقيقة، فإن مناشدة علماء المسلمين وحدهم أن ينظروا إلى ما وراء مصلحة المسلمين أمر قد يدهش الكثيرين؛ وبالرغم من ذلك، فإذا كنا نشعر بالأزمة التي يواجهها الإنسان ونعي مسئولياتنا تجاه ديننا فإننا لا نستطيع أن ندع الأيام تمر تباعاً ونحن قابعين في حصن إسلامنا- أي كوننا مسلمين - على أمل أن يأتي اليوم الذي سوف يكون فيه كل شيء على ما يرام.

ويعتبر موقع "فيوتشر إسلام" Futureislam بمثابة دعوة نبوية لفترة ما بعد الحداثة حتى لـو لـم يصدر صوتها عن نبي مرسل؛ إنها دعوة إلى إرشاد عالمنا الذي يتسم بطبيعة متغيرة باستمرار، وذلك من خلال إعادة اكتشاف النقاء الخالص الذي يكمن في جوهر الإسلام، ونحن ندرك تماما أن إعـادة توجيـه التاريخ إلى مساره النبوي الأصيل ليست مغامرة سهلة، كما ندرك أيضاً أنه ليست هناك حلول أو إجابات معدة مسبقاً للقضايا بالغة التعقيد التي نواجهها في عالمنا اليوم، ولا يهدف موقعنـا futureislam.com إلى تجميع الإجابات الممكنة، ولكننا نصر على إيجاد تلك الحلول؛ وبالرغم من أننا لسنا أنبياء لكننا نحمل على عاتقنا ميراث إبراهيم؛ وإنه لتحد جد كبير. ولكن من أقدر على قبول مثل هذا التحدي مـن معتنقـي الدين خاتم الرسالات؟



غياب لغة الحوار

مع رسوخ جذور الهيمنة الأمريكية على العالم بقوة أصبح يتردد الآن على مسامعنا مصطلح الإسلام على الطريقة الأمريكية، الأمر الذي جعل زعيم إيران الروحي علي خامنئي يعبر عن استياءه قـائلاً "إن هذا النوع من الإسلام نوع رجعي يتفق مع المبادئ الأمريكية والأهداف الغربية". فهذا القلق الذي يساور الخامنئي وغيره من قادة العالم الإسلامي له ما يبرره. فقد شهدت الأعوام الأخيرة تطورًا مفاجئًا للمفهـوم الحديث للمنقذ الذي سوف يخلص هؤلاء المسلمين الذين ينظرون إلى الإسلام من خلال المنظور الفاسـد للسياسة الخارجية الأمريكية والذين يطلقون على السيد بوش لقب "منقذ العالم الإسلامي"؛ فبالنسية لهم، بل وربما الأنسب بالنسبة لهم، أنه جاء "للتحرير وليس للحرب". وهناك العديد من المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية يؤيدون علانية، إن لم يكن يحثون على، تلك الفكرة التي تدعي أن غزوالعراق هو الملاذ الوحيد لإصلاح العالم العربي. علاوة على أنه يوجد الكثير من المتحمسين جـاهزون للوقـوف بجانب صفوف المقاتلين الأمريكيين من أجل الولايات المتحدة الأمريكية، والأنكى من ذلك أنهم يعتبرونـه نوع من التكليف الإلهي والواجب القومي؛ إذاً، هذا هو الإسلام على الطريقة الأمريكية .

ومع ذلك، واستنادا إلى تلك الخطب الرنانة والتي نسمعها سواء في الرياض أو القاهرة أو إسلام أباد، فإن الكره الإسلامي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية لم يصل إلى حد التطرف. والصوت الإسلامي السائد والغالب يرى أن ما يجري في العراق لا يعد فقط مجرد صراع بين المستبد والمضطهد، أو بين المستعمر وضحايا الاستعمار، ولكنه ينظر إلى القضية على أنها معركة بين الإسلام والكفر، أي أنها جهاد. فالـذي يجري في العراق الآن مأساة مفجعة حقا، لكن النظرة الأحادية لمجريات الأمور تعد تبسيطًا شديدًا للآراء العديدة المعقدة المثارة حول القضية بأسرها. ومن بين البحثيين والإسلاميين والقوميين من وجد في حركة المقاومة فرصة لإعادة ترتيب أولويات جدول أعماله المتواضع. وحقيقة، لابد ا من مقاومـة الإمبرياليـة بكافة أشكالها، ولكن كي نتمكن من تدعيم وتقوية جبهة المقاومة، يجب علينـا عـدم تحريـف مـضمون النصوص الدينية. وفي المستقبل إذا تضاربت المحصلة النهائية لهذه المقاومة مع النتائج المتوقعـة مـن الجهاد – وهذا ما يحتمل حدوثه في القضية العراقية كما حدث في قضية المجاهدين الأفغـان – فـسوف يضيف المزيد إلى خيبة أمل معسكر الإسلاميين. وقد بالغ العلماء الوهابيون المحدثون قلـيلاً فـي حـبهم للعراق حينما قاموا مؤخراً بإصدار فتوى تعلن أن المقاومة في العراق تعتبر جهادا إسلاميًا، وواجبًا دينيًـا



على المؤمنين كافة. ومع ذلك، فالجماعة الوهابية الجديدة ليست وحدها هي التي تستخدم، أو بالأحرى تسيء استخدام المفردات الدينية، فنفس الشيئ ينطبق على علماء الاتجاهات السائدة والمنظمات الدينية المعاصرة. فهم أحيانا يعبرون عن مصداقيتهم بمدى ما يظهرونه من حماس للجهاد وأحيانا أخرى يفضلون التزام الصمت بدعوى الحفاظ على مصالح الأمة.

والموضوع الذي نحن بصدد مناقشته هنا ليس تحديد جانب الصراع الذي يجب أن ننحاز إليه، ولكنه يكمن في كيفية استغلال مشاعرنا الدينية للتعامل بأمانة شديدة مع القضايا الحيوية التي يجب أن نتناولها بشكل مستمر. إن عدم الأمانة الفكرية أو اللامبالاة قد تبدو أنها تدعم الكفاح في وقتنا الحالي ولكنها على المدى البعيد تؤدى إلى ضعضعة الأساس الأيديولوجي الذي تقوم عليه مبادئنا. فالمفردات الفتوية التي تهدف إلى إخماد أي نقاش يقوم على أسس سليمة قد تركت المسلمين المعنيين في شتات فكري، فكيف يكون الإسلام الذي يبيح للمسلمين الامريكين الاشتراك في الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق هو نفسه الدين الذي يطالب المسلمين في أنحاء أخرى من العالم بالاستبسال من أجل مقاومة نفس الجيش الاستعماري.

وسواء كان المسلمون من معتنقي الإسلام على الطريقة الأمريكية أومن نظرائهم من أتباع الجماعة الوهابية أو حتى من الملالي في إيران، فهم جميعا يعوزهم فهم نقطة هامة، وهي أنهم بدلاً من أن ينظروا إلى الموضوع من خلال وجهة نظر جديدة وطبقاً للمنظور القرآني، فقد ساروا على الطريق الخطأ من خلال هذا النوع من المعرفة الفتوية التي لا تعطي مساحة كافية لطرح المزيد من الأسئلة أو المناقشات المثمرة. فلا يلزم أبدا حشو التفكير الفتوى بمصطلحات فقهية منغلقة تماما وترفض دائما أية إعادة للتفكير؛ حيث يرتكز العقل الفتوى بشكل أساسي على الأهواء والرغبات الشخصية فيما يحب وما لا يحب. وهذه النوع المنغلق يقف عائقًا أمام أية إمكانية لوجود نقاش مبدع داخل البيت الإسلامي في قضايا بالغة الأهمية، مما يؤدي بنا إلى طريق مسدود؛ وهذا ما يمكن أن نطلق عليه "غياب لغة الحوار". وهو في واقع الأمر، أساس كل الأزمات والمتسبب في وجود حلقة مفرغة تدور فيها الأمة منذ قرون طويلة. ويتطلب هذا الموقف منا أن ننظر إلى القرآن نظرة مجددة نستطيع من خلالها أن نجد إجابة جديدة، ولكن غياب لغة الحوار الخلاق بيننا يعرقل أية فرصة لتحقيق ذلك.

ودعونا الآن نشرح ذلك، ففي باكستان – وأثناء فترة رئاسة أيوب خان– كان الموضوع الشاغل الذي تم طرحه على طاولة النقاش هو"إذا كان لباكستان أن تصبح دولة إسلامية فأي المذاهب الفقهية الأربعة أو الخمسة سيتم تطبيقه رسميا؟". ومع إدراك العلماء التام للخطر الداهم المتوقع من هذا الموضوع، إلا أنهم ببساطة فضلوا تجنب أي حوار جاد حول هذه المشكلة الحيوية مبررين ذلك بأن الفقه الحنفي يجب أن يتم

تطبيقه رسميا باعتباره مذهب أغلبية المسلمين في باكستان. وإننا بذلك نتجاهل حقيقة هامة وهى أن أنصار كل مذهب من المذاهب الفقهية سيظلون متمسكين به لأنهم يعتقدون أن المذهب الفقهي الذي يتبعونه هو الأقرب إلى الصواب ولذلك فإنهم لا يريدون التخلي عن وجهة نظرهم. وتتطلب عملية تأسيس باكستان حديثة وإرساء الواقع الجديدة في القرن العشرين من مفكري وعلماء الإسلام سبر أغوار الأسس النفسية والتاريخية والسياسية والاجتماعية لصراع المدارس الفقهية الأربع التي تنظر إلى الوحي باعتباره مجموعة من التعليمات المقننة، بل والمتحجرة والتي لا تعطي أية مساحة لبدء أي حوار قرآني خالص مجددًا. ولو قدر لهذا الحوار أن يبدأ في دولة باكستان المستقلة لاكتست تلك الدولة بحلة جديدة مغايرة تماما لما هي عليه الآن.

ولا يجب علينا أن نغفل حقيقة أن القرآن هو نبع الحوار الذي لا ينضب أبدًا، فهو دعوى إلى التأمل والتدبر وطرح التساؤلات والاستنباط في محاولة مستمرة للوصول الى الكمال الذي لا يمكن بلوغه. فقد شاع استخدام لفظ "قل" في القرآن ردا على لفظ "يسألون" مما يشير إلى حقيقة أن القرآن لا يطالبنا أن نبقى مكبلين بالقيود التي يفرضها الفكر الفتوي على العقل. ولكن القرآن يحثنا على أن نفتح قلوبنا وعقولنا لاستقبال كلام الله دائما حيث يقول

﴿ .... أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد 24)

كما يدعونا أن نستغل قدراتنا العقلية التي وهبنا الله إياها. فكل إنسان مطالب بأن يستخدم عقله، فمجرد الاعتماد على المعرفة التي أرسى دعائمها من مات من العلماء السابقين لا تمثل بداية سليمة لكل من يتحرى الحقيقة. فالطريقة التي كان يتعبد بها السلف، بغض النظر عن مدى ما كانوا عليه من ورع وتقوى وعظم شأن، لا تختلف عن الاستعباد العقلي للمشركين الذين يستحقون لعنة الله حيث إنهم قالوا

﴿ ... وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الشعراء 74)

فإثارة التساؤلات والحوارات فيما يتعلق بدور الإنسان ومكانته في هذا الوجود لا تتوقف حتى بعد أن يسلم الإنسان وجهه لله تعالى. فالفهم العميق للكون والخوف الذي يستحضره هذا الفهم إلى ذلك القلب الوجل من خشية الله يمنح الإنسان القوة اللازمة للقيام بدور قيادي، فالله تعالى يقول في كتابه العزيز

﴿...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ...﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر 28)

والمؤمن بصفته جزء لا يتجزأ من الخطاب القرآني لا يقنط أبدا من محاولة الوصول إلي إجابات مبتكرة، حتى في أحلك لحظات الكوارث التي تواجهه.



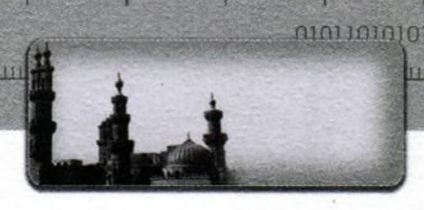
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

(البقرة 214)

وقد أدى غلق باب الحوار داخل البيت الإسلامي إلى تمزقنا إربا. فقد جعلت قدسية النص القرآني وقوة التوحيد التي لطالما فرض عليها الفقهاء والمفسرون ومن بَعدِهم المؤرخون والمحدِّثون سياجًا كبيرًا يبعدنا عن محاولة فهم القرآن بطريقة جديدة خلاقة وجعل منها عملية مستحيلة. وقد كان هذا السياج محكما لدرجة أننا عندما نتحمس لأن نقترب من القرآن نجدنا قد انسقنا دون أن ندرى إلي التقليد الأعمى للسلف الصالح. وهذه هى الصورة التي نقلها لنا القرآن عن أمة سابقة جردت من أصالتها ومن التفكير الإبداعي وحكم عليها أن تحيا حياة القردة عندما قال:

﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف: 166)

فوجود الحوار داخل جدران البيت الإسلامي يحمل بين طياته وعدًا بدحض الهويات الدينية المزعومة كالحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية... الخ. فلو كنا ورثنا حوارًا دينيا لا ينضب من الفقهاء الأجلاء الذين نعتبرهم الينبوع المقدس للدين ومجموعة من الناس المعينين من قبل السماء، لكان الموقف مختلف تماما. فنحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن العوامل التاريخية المسئولة عن تمجيد المدارس الفقهية الأربع في القرن التاسع. فإقرار هذه المدارس الأربع من بين أربعين مدرسة فقهية كان حلاً وسطًا يهدف إلى إنهاء النزاع الداخلي؛ لذلك لا نستطيع أن نعتبر ذلك منطقة مقدسة ولا يجب أن نعتبرها كذلك. فإذا ما كانت هذه المدارس الفقهية الأربع قد أعطيت الحق في صياغة دستور حياتنا استنادًا إلى فهمهم الخاص للوحي، فهل نستطيع أن ننكر مثل هذا الشرف علي مذهب خامس أو سادس بسبب ظهوره في فترة زمنية لاحقة؟ ومما لاشك فيه أن هناك محاولات جادة بذلت في الماضي لكسر جمود الحوار الديني ، فابتداءً من الظاهري الى ابن حزم ومن ابن تيمية إلي محمد بن عبد الوهاب تم بذل العديد من المحاولات لكسر قيود الجمود في الفكر الإسلامي. وعلى الرغم من أن هذه المحاولات لم تؤتي ثمارها المرجوة، إلا أنها مهدت الطريق أمام حركات الإصلاح التالية. ولا ينبغي علينا الاستهانة بهذا السياج الحديدي الذي أحاط به الوهابيون الحرم المكي واقتضاب المذاهب الأربعة الموجودة فيما يتعلق بأمور الصلاة إلى مذهب واحد. ومع ذلك فقد كانت هذه الحركة المفعمة بالحيوية والقوة قد حولت رموزهم الثوريين كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب إلى قادة طائفين مما أدى إلى تضاؤل آمال العودة الى نقاء الإسلام الأصيل.



وقد أدى غلق باب المناقشة في أمور القرآن وإحاطته بسياج حديدي إلى تحجر العقل المسلم؛ فلم يكن أمام الشخص المسلم في العصور التالية سوى أن يكتسي بثوب الفقه السائد في الدولة العباسية ببغداد. وبما أننا نحيا في القرن الحادي والعشرين فإنه يتملكنا شعورٌ غير مريح بأن الذين يتولون شؤون ديننا هم عظماء الماضي والذين ماتوا منذ فترة طويلة ولذلك لا يمكننا إلقاء اللوم عليهم علي عدم معرفتهم الكافية لعالمنا الحاضر. فنحن المسلمون - ولقرون عديدة - نعيش بلا رائد ولا عقل متفتح يساعدنا على التفاعل مع النص القرآني.

قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان:30)

ولقد أكد لنا النبي (صلى الله عليه وسلم)، كما جاء في معنى الحديث أن الله يرفع مكانة الأمة التي تعتصم بالقرآن. ويتساءل المرء عن سبب تردي حال الأمة الإسلامية، والتي دائما ما تجد نفسها في منحدر منزلق. ولن يستطيع أحد أن يضاهي حبنا للقرآن بداية من الحرص على تلاوته وحفظه عن ظهر قلب وصولا إلى نشر طبعات فاخرة مزخرفة منه، ولقد بنينا تراثـًا لا تستطيع أمة أخرى غيرنا أن تدعي مثله. ولكننا في الحقيقة أمة تعاني من الجهل بحقيقة الاعتصام بكتاب الله. وفي الوقت الذي توصل فيه معظمنا إلى حد اعتبار العلوم القرآنية الكثيرة التي جاءت بعد القرآن امتدادا طبيعيا له، اعتقدنا خطئًا أن إعادة صياغة الإسلام من الناحية الفقهية تعني مجرد عمل نسخة مبسطة منه وتطبيق أحكام الفقه مدعين أن الأقوال الفقهية المأثورة السابقة لها نفس المكانة العظيمة التي يتمتع بها القرآن نفسه. فمثل هذه الآراء المغلوطة والتي تمنع المحاولات الإنسانية الناجحة للتفسير تخلق هواجس خطيرة عن طبيعة ونطاق أي حضارة مستقبلية للإسلام.

ولن يتحقق لنا السمو بالقرآن إلا إذا كنا مستعدين للتفاعل مع النص القرآني بأنفسنا، و إذا ما تحلينا بالشجاعة والبسالة اللازمة لقبول تحديات الوحي. فالقرآن هو دعوة عامة وكتاب شامل ومصدر لتخفيف آلام البشرية جمعاء. فهو يحث على تفتح العقول، والتسامح العظيم، واحترام وتقبل الآخر، كما يدعو الى نشر العدل والحفاظ على كرامة الجميع. فالنموذج الحقيقي للتوحيد يمكّن المؤمن من النظر الى الجنس البشري كله على أنهم عباد إله واحد يحتاجون إلى المواساة والنجاة، وفي نفس الوقت ينظر إلى نفسه على أنه يمكنه مساعدة البشرية باعتباره من أتباع نبي الله (صلى الله عليه وسلم). فالأمم التي تسيطر على العالم اليوم قد تجسدت فيها هذه الأهداف بصورة أفضل منا؛ وهذا هو السر وراء قيادتهم للعالم. وبينما نحن ممزقون في سجال المناقشات الفقهية، نجد انه من الصعب منح حق حياة كريمة للأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمعات دينية أخرى أو حتى للمسلمين الذين ينتمون لاتجاهات مختلفة.



وكان سقوط حركة طالبان بمثابة فاجعة محزنة للأمة، ولكن هذه هي سنة الله وقوانين الطبيعة. فكيف يتسنى لهؤلاء الذين لا يستطيعون أن يحتضنوا إخوانهم وأخواتهم في الدين، أن تعهد إليهم مسئولية قيادة العالم. وبعيدا عن أي من تلك الاعتراضات والتغييرات الفقهية علينا أن نعيد صياغة وجهة النظر القرآنية العالمية لمفهوم سيادة السلام والعدل للجميع. وإذا لم نجعل مرجعيتنا الأساسية في جميع القضايا للقرآن، فسوف تظل وجهات النظر المتضاربة عن الإسلام تطاردنا، وسوف تظل شعارات "الإسلام هو الحل" و"القرآن هو الحل" مجرد شعارات جامدة، وسوف يظل يُنظر للمسلمين على أنهم أمة متحجرة انتهى فيها أي إبداع عقلي.

هل هناك إمكانية للتنوير من جديد؟

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ ﴾

إن سراب المدركات الحسية هو إحدى لعنات العصر الحديث؛ ففي عالم الأوهام التي يخلقها الإعلام، حُرم الإنسان من حق المعرفة، ومن رؤية الأشياء كما هي على حقيقتها، الأمر الذي أودى بنا إلى أن نفقد الإدراك الكامل للأزمات الكبيرة التي نعيشها في عصرنا الحاضر، كما أدى إلى التهديد البيئي لكوكب الأرض.وتحول الإنسان إلى آلة على يدي ذلك المارد الرأسمالي المعروف باسم "العولمة". وقد عاد الإنسان في أصفاده مرة أخرى، ولكن الأصفاد التي تكبله هذه المرة لا تتراءى للعيان. وقد أدى موقفٌ مشابه حدث من قبل إلى إرسال أنبياء الله لهداية الناس بنور الوحي وجعلهم يرون الأشياء كما هي، كما قال رسول الله ﷺ "اللهم أرني الأشياء كما هي".

ولقد اصطفى الله تعالى أنبيائه بالنور والبصيرة التي لا تضاهى، وعُهد إلى أتباعهم برؤية شاملة جديدة أو، فلنقل، تجربة تغيير النموذج المعرفي. هذه الرحلة من الظلمات إلى النور، كما بينها القرآن الكريم، تجعل الأعمى يرى وتملأ النفس القانطة بحماس جديد للحياة. وهذا المجتمع الذي ظل يرقد في سبات عميق ويتبوأ مكانة متدنية لفترة ليست بالقصيرة قد شهد تجدد الحياة مع قدوم أنبياء الله. وتأتي قصة عيسى عليه السلام كما ذكرها القرآن الكريم كأحد الأمثلة التي بينت أن مجئ نبي من أنبياء الله قد جعل أعمى البصيرة يرى بنور الإيمان ومن مات قلبه يحيا بهذا النور. وهؤلاء الذين يعيشون على متن طائرة مادية، غير مدركين للأهداف النبيلة للحياة، ويمرون بهذا التغيير لدرجة أنهم يشعرون أنهم أقل اتصالا بالأرض منهم بالسماء. واستخدم القرآن الكريم مثل الطائر الذي خُلق من الطين وعندما نفخت فيه الروح طار إلى السماء، وهي المصدر المجازي للروحانية. ويخبرنا الله تعالى في موضع آخر في القرآن أنَّ القدرة على رؤية الأشياء كما هي لا تعتمد على إدراكاتنا الحسية المجردة؛ قال تعالى:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (سورة الحج، 22)



ولأننا نبعد عن عصر خاتم الأنبياء بفترة زمنية تصل إلى حوالي أربعة عشر قرنـًا، يراودنا الآن شعورٌ بعدم الارتياح لأن الظلام قد حلَّ بنا مرة أخرى؛ ومع زيادة صعوبة الرؤية من خلال التلاعب الماكر بالصورة الإعلامية في العالم المعاصر. وهو إدراك يستند إلى الصورة نحمله معنا طيلة حياتنا، حيث يعتقد معظمنا أن الرؤية هي ما تريدنا الكاميرا أن نراه فقط، ونذهب إلى المكان الذي تذهب إليه الكاميرا، كما تعلمنا أيضًا أن نعتمد على إدراكنا الحسي فقط الذي يجعل القلوب التي في الصدور لا تعمل. صحيح أنَّ بيننا أمة تحيا وتعتبر نفسها هي الوريث الحق لخاتم الأنبياء وتزعم أنها هي التي تحمل الرسالة الخاتمة، "**شفاء لما في الصدور**"، ولكنهم لا يريدون حتى أن فتحوا كتاب الله بأنفسهم، واكتفوا بأن ينظروا إلى القرآن بأعين العلماء السابقين، الذين ماتوا منذ زمن بعيد ولا يستطيعون، بسبب عدم علمهم بمجريات الأمور في عصرنا، أن يخبرونا بكيفية إحداث هذا التنوير في بيئتنا. ولأنَّ القرآن مازال محصورًا في فهم السابقين له، فإن السلف والأمة وكذلك باقي العالم محكوم عليهم بالعيش في الظلمات متخذين نفس المنهج الذي تبعه روبنسون كروزو، تلك الشخصية التي ألفها الكاتب الإنجليزي دانيال دوفو، وينتظرون قدوم مسيح يخلصهم.

وربما يبدو علي المسلمين في هذا العصر أنهم أمة مثبطة الهمة فليسوا وحدهم الذين طال بهم الأمد في انتظار المسيح، بل وقد كانت أسطورة المسيح سببًا في إحداث المزيد من الفوضى في الدوائر اليهودية والمسيحية، بصورة أخطر من أي مكان آخر. وربما تزهوا المسيحية فخرًا بكونها أكبر ديانة علي وجه البسيطة انطلاقًا من العدد الهائل لمعتنقيها ولكن الحقيقة هي أن المد المسيحي يعاني حالة من التراجع منذ قرون.

وبداية من المذهب الكاثوليكي الذي بسط نفوذه علي المجتمع في فترة من الزمن وحتى ظهور الرأسمالية الليبرالية، أبدت المسيحية درجة كبيرة من التساهل جعلتها الآن تبقي علي كاهن مثلي في منصبه. وفي غرب ما بعد المسيحية، كما يراه الكثير منا وهم علي صواب، فإن رحلتنا من أجل تحقيق تلك المُثل البشرية التي طالما كانت محببة إلي نفوسنا والتي تتمثل في الحرية والاستقلال قد أودت بنا في نهاية المطاف إلي الحالة التي وجدنا أنفسنا عليها؛ واقعين تحت رحمة الليبرالية الفاشية.

أما أولئك الذين جال بخاطرهم، ذات مرة، بأن ظهور عالم متحرر قائم علي أسس ديمقراطية أصبح وشيكًا وبأن التاريخ يسير بسرعة لبلوغ نهايته المحتومة لم يجانبهم الصواب في هذا الرأي. فنهاية الحرب الباردة أو وترسيم الستار الحديدي (بين الاتحاد السوفيتي وأوروبا الغربية) قد ألقي الضوء علي مفارقات عديدة للرأسمالية أكثر من تلك الاختلافات المتعلقة بالدولة الاستبدادية، فلم يعد من الصعب الآن رؤية الوجه القبيح للرأسمالية ولا رؤية أسباب ثراء الولايات المتحدة وعلي حساب من كان ذلك الثراء.



ويقدر عدد سكان الولايات المتحدة بنحو ثلث عدد سكان الهند ومع ذلك فهم يستهلكون أكثر من ثلث موارد العالم ولو أن الشعب الهندي طمح إلي مثل ذلك المستوي المعيشي فإن باقي سكان المعمورة سيموت جوعًا لا محالة. ولا يدعم العقلاء في شتى أنحاء العالم هذا الافتراض غير الأخلاقي. إلا أن نير الليبرالية الفاشية كان بالغ السطوة لدرجة أنه لم يعد الإنسان وحده هو الذي يشعر بالعجز، بل إن الرأسمالية الإنجيلية قد وظفت الله سبحانه وتعالى لخدمة أغراضها حيث ظهرت عبارة "ليبارك الرب أمريكا".

إن العالم الآن يسير بسرعة شديدة نحو نقطة النهاية ولن يقوي أحد علي السيطرة علي تلك المحاولات الخرقاء للسعي وراء الليبرالية الفاشية. تسود في الشرق بعض حالات السخط والاعتراضات إلا أنها ليست بتلك الفعالية التي تمكنها من وقف أي تهديد يوجه للمذهب الرأسمالي الذي أشاع مبدأ العولمة في جميع أرجاء كوكب الأرض. وتسود الآن علي نطاق عالمي حالة من العجز التام الذي أوقع البشرية في قبضة النازية الألمانية أو الفاشية الإيطالية ثم في المناطق المتمركزة حولها.

ومع ذلك فهذا ليس إلا وجهًا واحدًا من أوجه القضية، إذ أن إلقاء اللوم علي الآخرين لما ألم بنا من ويلاتٍ ليس انصافًا ولن يصل بنا إلي أية نتيجة، فلماذا أفلت زمام التاريخ من أيدينا تمامًا وأصبح العالم بأسره، بما فيه نحن المسلمين، واقعًا تحت رحمة الرأسمالية الفاشية؟ ذلكم هو السؤال الذي يجدر بنا أن نكف عن التهرب منه لأمد بعيد والذي يستحق اهتمامنا العاجل والجاد.

ومن الطبيعي أن يقودنا ذلك إلى طرح سؤال آخر هو: كيف يمكن لأمة رفعها الله لتقود العالم وتمثلت شرعتها الوحيدة في تقديم يد العون لبقية الأمم وهداية البشرية جمعاء وإرشادها أن تصبح هي نفسها طرفًا في الصراعات الدنيوية الحقيرة؟ وخلال القرون الكثيرة الماضية، رأى أنصار الإسلام الدين الإسلامي من منظور المقاومة بشكل أساسي، فبدلاً من تقديم الإسلام للعالم على أنه رسالة سلام ورحمة وظهور المسلمين بمظهر الإحسان والخيرية إلى البشرية جمعاء، أخذنا على عاتقنا مهمة الدفاع عن الإسلام، ويُعد مثل هذا التصور للإسلام من منظور المقاومة بمثابة انحراف واضح عن الدور الذي اختاره الله لنا، مما أجبرنا على الابتعاد طواعية عن قيادة العالم.

وقد نفخر بكوننا أمة النبي الخاتم وحملة أخر الرسالات السماوية ولكننا على أرض الواقع لم نعد الأمة التي تحتل مركز الصدارة، وربما تزعم منتدياتنا الإسلامية التقليدية بأننا ورثة المعرفة الإلهية ولكنها ليس لديها صلة حتى الآن بالعالم التكنولوجي الحديث, فلم يعد العالم يعتمد علينا، بل أصبحنا نحن الذين نعول عليه؛ فدائما ما وضعتنا أفكارنا المغلوطة عن المعرفة، مثل النظر إلى العلوم الإسلامية باعتبارها



المعرفة الكاملة، على حافة منزلقة. أما الراغبون في الخروج من مثل هذا المأزق ممن يودون أن يجعلوا من المستحيل ممكنًا في غمرة حماسهم الديني فإنهم ويفتقدون إلى المنهجية المناسبة لذلك، وحيث إن الكثير من تراثنا الديني والفقهي يعمل على توظيف لغة المقاومة، فقد أخبرونا عن كيفية الموت في سبيل الإسلام ولكنهم لم يوضحوا لنا كيف نحيا من أجله، علاوة على ذلك، فهناك أناس يعيشون بيننا من أولئك الذين قد لجئوا إلى المُثل التحررية الغربية أثناء محاولاتهم للبحث عن فجر جديد. فمن الصعب عليهم تقدير لغة المقاومة بينما على الجانب الأخر لم يعد بمقدورهم اكتشاف النموذج القرآني للرحمة، فرؤيتنا للإسلام على أنه مجرد حركة سياسية جعل من الصعب علينا العثور على نموذج الرحمة المفقود؛ فالإسلام كحركة سياسية صاحب إطلاقها صخب كثير في عصرنا الحاضر، قد ركز إلى حد بعيد على تطبيق الشريعة أو بعث الحياة من جديد طبقًا لوجهة نظر كبار علماء الفقه السابقين، وقد نقل ذلك لنطاق أوسع من العالم صوره ظهر فيها الإسلام كما لو كان لا يملك شيء جديد ليقدمه ويرجع ذلك إلى أن المسلمين كانوا غير مؤهلين لفهم القرآن من منظور مجدد، فقد أدى التطبيق الأعمى للشريعة (الفقه) إلى بروز رؤية فقهية طائفية عن التاريخ الماضي. وفي غمرة حماسنا للشريعة، لم نعبأ حتى بالتحقق مما إذا كان كبار العلماء القدامى قد جسدوا التعاليم الإسلامية فعلاً أم أن صياغتهم قد تأثرت إلى حد بعيد بمحيطهم الاجتماعي الخاص بهم، وأراد الراغبون في إضفاء الشرعية على حكمهم الاستبدادي في المقام الأول إخضاع الشريعة طوع بنانهم.

والشريعة كما فهمتها ومارستها طالبان أو كما تبناها تحالف مجلس العمل الموحد في باكستان أو كما قام قادة الجماعة الإسلامية مؤخرا بمناصرتها أثناء الميثاق الباكستاني قد أقنعتنا فقط بأن الحركات الإسلامية لا بد أن تنبع من الأوساط الفقهية للعصر العباسي، ولم يستطيعوا حتى الآن أن يفهموا الإسلام بطريقة أخرى مغايرة للغة المقاومة أو تقديم رسالة الإسلام للعالم الخارجي بلغة أكثر اتساعًا من الإحسان ورحمة الله التي لا تنضب أبدًا، فلو فهمنا الإسلام بلغة الرحمة، فإنه سيظهر لنا باعتباره الملاذ الآمن لجميع النفوس البائسة والقلوب المحطمة في بحثها عن العزاء، على العكس من ذلك، تؤدي لغة المقاومة إلى غرس بذور الضغائن الطائفية في داخل بيت الإسلام. وسواء في باكستان أم تونس أم الجزائر أم مصر أم في أي مكان وظفت فيه الحركات الإسلامية لغة المقاومة، أدى ذلك إلى انقسام المجتمع المسلم على نحو خطير، وعلى الرغم من أن الحركة الإسلامية هي ظاهرة تنتمي للقرن العشرين والتي نتجت عن الهجمات الاستعمارية إلا أنها تبدو ظاهرة وستنتهي. وينطبق نفس الشيء على السلفيين الجدد، الذين كانوا يومًا ما مناصرين للمنهج الإبداعي في تناول القرآن والسنة والذين أدى اعتمادهم على ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، للأسف، إلى تقديس الرموز أو عقلية منغلقة كما وصفها القرآن:



﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء، 74)

فنحن نعاني من أزمة ذات وجهين، ففي الوقت الذي يعيش فيه العالم في ظـل التراجـع المستمر للرأسمالية الفاشية، انهمك أتباع خاتم الأنبياء في خوض معركة الدفاع عن بقائهم، على الرغم من وجـود آخر الرسالات السماوية التي أرسلها الله بيننا، وعلى الرغم من اعتمادنا المفرط على علم السابقين مـن البشر، وعلى المحاولات التفسيرية لأساطين العلم، فنحن المسلمين نفتقد إلى رؤية مستقبلية إبداعية نابضة بالحياة. إن مجرد فكرة قيامنا بمحاولة فهم الوحي بأنفسنا، في سياق حياتنا الخاصة لم ترد حتـى بمخيلة أولئك الذين يواصلون إلقاء الخطب حول الدولة الإسلامية النموذجية، فالخطاب الإسلامي فـي عـصرنا الحالي الذي – على حد قول سيد قطب – يسلط الضوء على "المنطق الوجداني" قد ضيق المجال أمام أية محاولة لطرح أي تساؤل عقلاني أو نقدي. وإذا استخدمنا تعبير من تعبيرات "كانط"، فقد عزز ذلك بيننـا ظهور حالة من "عدم النضج الطوعي" في محاولاتنا لفهم الوحي، فرؤيتنا للوحي هي رؤية مـن الخبـرة الماضية التي كانت قد أضاءت لنا الطريق فيما مضى منذ أربعة عشر قرنًا. في الأغلب الأعم، يعد ذلـك مجرد جزء من هويتنا التاريخية وليس تجربة ملموسة، فنحن ننظر للقرآن بوصفه معين لا ينضب لتراث عظيم من النور وليس كأنه نورٌ في حد ذاته، نتيجة لذلك، وعلى مدار العديد من القرون، تعاني الأمة من حالة مستمرة من التردي، فهي تتراجع من النور إلى الظلمات.

ومع الظلام يوجد شعور بعدم الأمان والشك تجاه المستقبل، وإذا ما حل هذا الظلام فلن يكـون لـه علاج إلا نور الوحي، قال تعالى:

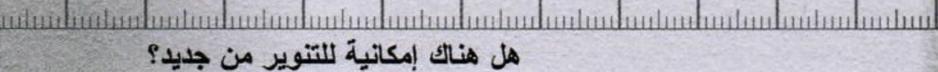
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة: 17)

إن الأمم التي حرمت من نور الوحي محكوم عليها أن تعيش في خوف دائم من المجهول،

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ...﴾ (البقرة: 19)

فومضات البرق بدلا من أن تنير لهم الطريق، تحجب أبصارهم عن الرؤية،

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ ....﴾ (البقرة: 20)




فهو في الظاهر يمكنهم من الرؤية لبرهة، ثم ينساقون وراءه انسياقًا بلا معنى، فإذا ما أفـل النـور عادوا إلى الجمود. وفي الحقيقة لا يوجد ما يعكس وضعنا الحالي أفضل من هذه الوصف القرآني.

إن خطورة الموقف تتطلب منا أن نضع حدًا لرحلتنا العكسية من النور إلى الظلمـات، ومثـل هـذه المهام العظيمة لم يقم بها في الماضي سوى الأنبياء، وبما أنه لن يُبعث نبي في الوقت الحاضر، وأصبحت آخر الرسالات كأنما هي النبي الغائب، فإن علينا نحن أتباع النبي محمد أن نعمل على خلق تنوير جديـد. وطالما ظل كتاب الله بيننا، وطالما امتلكنا الجرأة والشجاعة لأن ندرسه بأنفسنا، فإنه لن تُستبعد أمكانيـة ظهور التنوير الجديد.

إن الظلام الروحي الذي حل بالعالم اليوم ليس نوعًا من عبادة الأوثان أو أشكال الخرافات الأخـرى، ولكنه شكل تحول فيه الإنسان إلى آلة، ونوع من الحياة العادية التي نشأت نتيجة لعجزنا التام عن رؤيـة الاشياء كما هي، فالإعلام لم يكن أبدًا بهذه القوة، ولم يعتمد الإنسان من قبل على مثل هـذا الـسيل مـن الصور المرئية. فدعاء النبي ﷺ "اللهم أرني الأشياء كما هي" لم تكن هناك حاجة ملحة له بقدر ما نحـن بحاجة إليه الآن. وتتطلب منا رؤية الأشياء كما هي أن ننأى عن كل المعوقات سواء كانت سيكولوجية أم تاريخية أم دينية، وأن نبدأ بالاعتماد على نفوسنا الناضجة، وهذا في الواقع يحتاج إلى درجة عاليـة مـن التنوير الناضج، والمساعدة الإلهية التي لا تدع مجالًا لأي شكل من أشكال الغموض كما جاء في القـرآن الكريم:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: 38)

وعلى أية حال فإن كتاب الهدى والنور قادر على خلق فجر جديد، شريطة أن نهجر تمامًـا تقـديس الأسلاف، وأن تملأنا الثقة بأنفسنا آملين في نصر الله وأن نعود إليه وإلى وحيه عز وجل، فهـو وحـده نصير المؤمن، وهو الذي يخرجه من الظلمات إلى النور كما قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة: 275)

وكما قال:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد: 57)

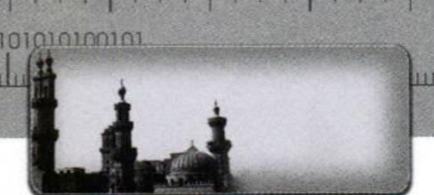


واليوم كذلك إذا ما تحلى أتباع آخر الرسالات السماوية بالشجاعة للتعامل مـــع الــوحي بطــريقتهم الخاصة، فسوف يجدون في غمرة هذا ميلاد تنوير جديد، وفي هذه الحالة سوف يجدون العــون الإلهــي الذي وعدهم الله به

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: 43)

وحقيقة فإن الأمة ينتابها شعور بأنها قد شارفت على النهاية، أو ربما نشعر بأننا مثل نبي الله يــونس الذي وقع في ظلمة بطن الحوت، لا يعرف كيف يجد مخرجًا من هذا الموقف، ومع ذلك فإن هناك تنويرًا جديدًا دائمًا ما يطرق أبوابنا شريطة أن نمتلك الشجاعة كنبي الله يونس في الاعتمــاد علــى الله ســبحانه وتعالى:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء: 87)



إعادة بناء الأمة الإسلامية: ميراث إبراهيم

الإسلام ليس هوية يمكن أن تقصرها جماعة ما على نفسها دون غيرها؛ لكنه يعني الخضوع طوعًا وبشكل غير مشروط لله جل وعلى؛ فهو باب مفتوح لكل من يجدون سلوى وعزاءًا في وحدانية الله. هذا النداء للخضوع طوعًا لإرادة الله؛ الذي عبر عنه جميع الأنبياء الحق وأتباعهم المخلصين عبر العصور، يجب أن يتبناه مسلموا عصرنا؛ ولكن هذا لا يعني عدم إعطاء المسلمين الخاضعين في الرسالات السابقة الأخرى دورًا في حياتنا المعاصرة. فإن وجود حركة للدعوة لثورة عالمية؛ لجعل العالم أسرة واحدةً تعبد إلهًا واحدًا؛ لا يمكن أن توصد الباب أمام المسلمين الذين نجدهم في الرسالات الأخرى.

وأي قراءة موضوعية للقرآن الكريم لا يمكنها إغفال الموضوع المهيمن الذي دعا إليه جميع الأنبياء من إبراهيم إلى محمد أو من قبلهم؛ ألا وهو الدعوة إلى عبادة الله الواحد؛ واعتناق نموذج الحياة الذي يتبعه المسلمون الذين أسلموا وجوههم لله؛ أي المسلمين الحنفاء. ولهذا؛ فليس من قبيل العجب أن يجعل القراءن الإيمان برسل الله جميعًا شرطًا مسبقًا لاكتمال الإيمان؛ فالمؤمنون مطالبون بأن ينظروا إلى الأنبياء على أنهم حاملين لنفس الرسالة الإلهية، وليس على أنهم مؤسسين لأمم معينة:

﴿ ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (البقرة: 136)

والأنبياء في الوحي الإلهي يشكلون مجموعة واحدة لا يمكن فصلها وكوكبة من القادة الذين أوحى إليهم الله وأرسلهم لهدية البشرية؛ فلا يمكن أن نفهمهم ورسالاتهم بمعزل عن بعضهم البعض. والقرءان الكريم يجعل ذلك جزءًا لا يتجزأ من عقيدة المسلم فعليه أن يؤمن بجميع الأنبياء السابقين ورسالاتهم؛ ولقد أخبرنا أن ما تبقى من الأمم السابقة هم حلفاؤنا بالفطرة. ولما كان محمد "صلي الله عليه وسلم" لم يأت برسالة جديدة ولكنه جاء ليحي دين إبراهيم "عليه السلام"؛ فقد حث القرآن الكريم المؤمنين على أن ينظروا إلى رسالة محمد "صلى الله عليه وسلم" على أنها نقطة التقاء لجميع الرسالات السابقة.

إن محمدًا "صلى الله عليه وسلم" لم يؤسس أمة جديدةً؛ ولكنه بدلاً من ذلك، وبعيدًا عن الهوية أو الاسم الجديد، فإن حديثي العهد بالإسلام كان عليهم أن ينأوا عن أي هوية دينية زائفة -سواءً أكانت يهودية أو مسيحية – عليهم فقط أن يكونوا مسلمين كما كان المسلمون في عهد رسول الله "صلي الله عليه

وسلم". إن جميع أولئك الذين يزعمون أنهم الورثة الشرعيون لميراث إبراهيم من بين اليهود والنصارى أو أولئك المتشبثين في استمالة الناس إلى جانبهم واعتناق ديانتهم، قد أخبروا بصراحة وجلاء أنه لا خير في هذه الشعارات الزائفة؛ فإبراهيم لم يكن يهوديًا أو مسيحيًا، بل كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين؛ ولذلك فإن جميع من يريد لإله واحد يجب أن يتبع نهجه (آل عمران: 135). فلو أن محمد "صلى الله عليه وسلم" وأتباعه جاءوا بهوية جديدة تخالف اليهود والنصارى، لأضعفت هذه الحركة من مكانته كنبي للعالمين، وكرد فعل معارض لأولئك الذين يدعون إلى اعتناق اليهودية أو النصرانية؛

﴿ ... كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ (البقرة: 135)

فإن على حديثي العهد بالإسلام أن يلتزموا بديانة إبراهيم:

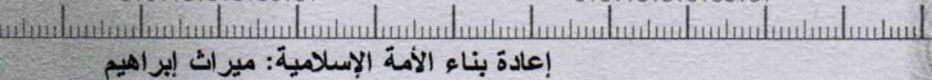
﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 161)

وعلى عكس ما يدعوا إليه اليهود والنصارى الذين يضفون كثيرًا من الأهمية على طوائفهم الدينية؛ على حديثي العهد بالإسلام أن يعبدوا الله في حياتهم دون أتباع طوائف معينة. والقرآن عندما يحث الناس على أن يكونوا ربانين

﴿ ... كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ (آل عمران: 79)

أي أن يكونوا أمة تسلم أمرها كله لله أو أن تأخذ صبغة الله؛ هدفه أن يقنع الناس بنفس النقطة وهي عبادة الله الواحد، فلم يأت نبي على مر التاريخ لإرساء قواعد ملة خاصة به أو دعا الناس إلى عبادته نفسه. والقرآن الكريم يخبرنا، مرةً بعد مرة، أن جميع الأنبياء بالرغم من اختلاف أمكانهم وأزمنتهم يدعون إلى نفس الرسالة (آل عمران: 68). ولأن محمد "صلى الله عليه وسلم" يطرح جوهر الرسالة الإبراهيمية؛ فأين يجد المرء قدوةً أخرى يتبعها؟ (آل عمران: 68).

ولهذا فإن محمدًا "صلى الله عليه وسلم" عندما يذكر في القرآن؛ يذكر على أنه ليس رائدًا لديانة جديدة؛ ولكنه رسول للعالمين؛ بشيرًا أو نذيرًا ورحمة للعالمين. وفي الفترة المتقدمة من الإسلام لم يكد المرء يسمع حتى بمصطلح "الأمة المحمدية" ونفس الحال في فترات الضعف في الرسالات السابقة حيث لم تكن الهوية الدينية مثل اليهودية والنصرانية أو البوذية معروفة. وهذه الهوية المبنية على أساس الشخصية قد استغرقت قرونًا وآجالاً لكي تتطور إلى ما هي عليه الآن، ولقد كرس كل الأنبياء جهودهم كافة لكي يجعلوا الناس تعبد إلهًا واحدًا؛ لكي يقيموا مجتمعًا عادلاً يعبد الله وحده لا شريك له في ملكه،





ويعملوا على جمع الناس تحت عباءة التوحيد على اعتبار أنهم عباد لإله واحد. والنبي ليس حكيمًا عاديًا؛ لأن الله أعطاه الكتاب والحكمة، وليس من المتوقع منه أن ينهمك في صياغة مبادئ العبادة أو أن يدعو الناس إلى عبادته، لأن الله اختاره لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وأن لا يقدموا أنفسهم إلا على أنهم عباد الله

﴿ ... كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ (آل عمران: 79)

و كما أُخبرنا فإنه على المجتمعات حديثة العهد بالإسلام، مثلهم مثل كل المسلمين في جميع الأزمنة، أن يؤمنوا بجميع الأنبياء كشرط أساسي لصحة إيمانهم؛ بل ويجب عليهم أن لا يفرقوا بين أحد من رسل الله.

إن إعادة إحياء مفهوم **الأمة** العالمية التي تعبد إلهًا واحدًا ليست رؤية عادية؛ لأن النداء الجماعي في قوله تعالى "كونوا ربانيين" أو الدعوة العامة لعبادة الله قد خلقت قدرًا هائلاً من القوة والنشوة. ومادام المؤمنون لا يزالون مدركين لهويتهم الربانية فهم لا يرون أنفسهم إلا على أنهم نقطة التقاء للرسالات الكبرى السابقة؛ فهم باب مفتوح تلوذ به جميع الأنفس الباحثة عن العزاء والسلوى؛ وهذا التأكيد غير العادي على هوية المسلمين الذين يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئًا يعطي حديثي العهد بالإسلام جانبًا أيدولوجيا سرعان ما يبث فيهم قوة لا تقدر. وبالرغم من أن نظرة العرب كانت لها جذور متأصلة في التقاليد العربية؛ إلا أن تغير هذه النظرة كان لها تأثيرًا كبير عليهم حتى أنهم يظهرون على أنهم مجموعة من البشر توحدهم عبادة إله واحد حيثما ذهبوا وبذلك أصبحت جميع الهويات الجغرافية واللغوية والثقافية والعرقية غير ذات معنى بالنسبة لهم. وبانقضاء حقبة المسلمين الأوائل، ظهر لنا جليًا وبالتدريج كما لو أن الثقافة العربية هي الصبغة الطبيعية للإسلام؛ بل إن البعض اعتبر أن عظمة الإمبراطورية العباسية هي الوجهة المنطقية للحركة الربانية. وانحياز العرب أو العصبية قد أصبحت حجر الأساس للمسلمين الذين جاؤوا فيما بعد، يحاكونه ويقلدونه؛ بل أن خروج الموالي عن الكيان الأخوي الجامع للمسلمين وتحولهم إلى الوصاية الاجتماعية قد جعلنا نعتقد أنه يجب على غير العرب من الآن فصاعدًا أن يقصروا أنفسهم على حدود الحركة الإسلامية وليس في جوهرها. إن الإمبراطورية التي تم تأسيسها على العصبية العربية التي تزعم تفوق بعض العشائر العربية قد ترك حيزًا ضيقًا لباقي الرسالات الأخرى لتنضم إلى الإسلام. إن فكرة عبادة الله وحده التي تظلل الجميع قد تحولت الآن إلى فكرة المجتمع الذي يتركز حول شخصية النبي فقط. وكانت هذه حالة صريحة في منح ولاء لمن لا يستحقه أو ما أطلق عليه القرءان الكريم كلمة "غلو". إن فكرة الأمة الجديدة التي تدور حول فكرة النبي العربي؛ قد قللت من عدد الداخلين في زمرة الإسلام إلى درجة اعتبار



ذلك كما لو كانت حالة مجتمع عادي آخر؛ وأصبح المسلمون مثلهم مثل اليهود والمسيحيين؛ لا يزيدون عن كونهم جزءًا آخر من شريعة إبراهيم. إن إنغلاق العقل المسلم بهذه لطريقة لم يحول المسلمين فحسب عن الإسلام الصحيح ولكن غير أيضًا العالم بأكمله من حولهم.

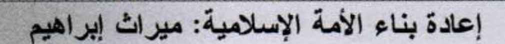
إن الأمة الإسلامية تسير الآن في عصر تدهور مستمر وعلماؤها في حالة من النفي العقلي؛ ومع ذلك فإن العصر الذهبي لبغداد العباسية أو حضارة الأندلس المسلمة المزدهرة ومغال الهند العظيمة أو الشجاعة العسكرية للإمبراطورية العثمانية قد خلق بعض الوهم والخداع عن حالتنا المتدهورة؛ وهكذا هزمت الأمة الإسلامية – الأمة المحمدية – الإسلام؛ فإن ظهور فكرة الإسلام الطائفي أو الأمة المحمدية قد مهد السبيل – في الحقيقة – إلى موت الأمة المبنية على الإيدولوجية؛ ذلك لأن صبغة الله لم تعد هي الهوية الوحيدة للمسلمين. ولأن المسلمين أجبروا أنفسهم على العيش في سجن نفسي من صنع أنفسهم، فإنهم جعلوا فكرة الأمة هي الفكرة الأساسية لمحور تفكيرهم واهتمامهم؛ وليست دافعًا للعبادة. إن مفهوم طائفية العبادة قد تشعب أيضًا إلى عقائد فرعية وقد وجد حديثوا العهد بالإسلام هويات جديدة يمكنهم أن يتشبثوا بها. إن العداء الداخلي بين الشيعة والسنة وبين الحنفية والشافعية؛ لم يؤد فقط إلى سقوط الإمبراطورية المحمدية؛ ولكنه قد أضفى كثيرًا من اللغط الأيدولوجي؛ الأمر الذي جعل من المستحيل أن نحدد من هو الممثل الحقيقي للإسلام، هذا الأمر، الذي انحرف بالبيت الإسلامي، كان شعورًا عامًا. أما أولئك الذين جاءوا لإصلاح الموقف فقد ركزوا بشكل رئيسي على إعادة توجيه الأمة المحمدية نفسها. وما كان يرى على أنه سبب اعتلال الأمة الإسلامية؛ أصبح يرى الآن على أنه السبيل إلى علاجها.

لقد استخدم القرآن الكريم مصطلح "الأمة المسلمة" بدلا من إطلاق لفظ الأمة المحمدية التي تتبع نتيجة للتشبث ببعض الأفكار العقائدية وذلك كما يتضح من دعوة إبراهيم الخالدة لربه في القرآن الكريم حينما قال:

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة 128)

وهذا ما وصى به إبراهيم بنيه وكذلك يعقوب عليهما السلام:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة 132)





فالمفهوم القرآني للأمة المسلمة يشمل المسلمين كافة بغض النظر عن الاختلافات الجغرافية أو الخلفيات التاريخية أو الحضارية، وهذا المفهوم هو الكوكب الوضاء الذي ينير الطريق لجميع الأنبياء و أتباعهم المخلصين، وبالطبع يضم المفهوم الاشمل للأمة المسلمة أهل الكهف و نماذج يحتذي بها للمرأة المسلمة مثل السيدة مريم أم السيد المسيح و زوجة فرعون و سائر الأمم المؤمنة التي ذكرها القرآن أو لم يذكر. على الرغم مما ذكره القرآن جليا، فمازال هناك من يصرون على ترديد مقولة أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ؛ و القرآن يتحدى مثل هذه الأفكار المغلوطة صراحة في قول الله تعالى:

﴿ ...قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ...﴾ (البقرة: 140)

فالادعاء بأن إبراهيم يهودياً أو القول بأن محمد هو مؤسس الأمة المحمدية يعتبر بهتاناً وإثماً عظيماً. يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ...﴾ (البقرة 140)

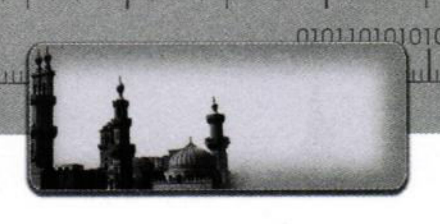
هل يمتلك البعض ممن يصرون على أن الأمة المحمدية الحالية لا تضم إلا مجموع أتباع الأمة الإسلامية التي تعيش تحت لواء الإسلام – الشجاعة الكافية لاستثناء إبراهيم وذريته وأسيا زوجة فرعون و مريم من حظيرة الإسلام ؟ فالنجاة تكون حق قاصر على المسلمين فقط، حيث انه لا ينبغي على من اسلم وجهه لله عز وجل و يتبع الصراط المستقيم أن يساوره القلق بشأن النجاة ؛ فهو حق ممنوح لجميع أفراد الأمة المسلمة التي تؤمن بإله واحد باعتبارها المفهوم الاشمل للأمة الإسلامية . وعلى العكس، يتم حرمان من يرغب عن أتباع ملة إبراهيم حنيفا من ذلك الحق على الرغم من انتمائه إلى بيئة مسلمة أو نشأته في كنف أسرة المسلمين حيث يقول الله عز وجل:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ... ﴾ (المائدة 17)

كما يقول الله تعالى أيضا:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ... ﴾ (المائدة 73)

تعتبر مثل هذه الآيات الكريمة وما شابهها بمثابة دلالة واضحة على أن مجرد الانتماء إلى زمرة المسلمين أو حتى وجود علاقة دم معهم لا يشكل قاعدة كافية للنجاة. ولذلك كان اليهود والنصارى يدعون أنهم أبناء الله المقربين وعباده المختارين الذين طردوا ظلما من رحمته:



﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة 18)

وإذا تأملنا سورة الأنبياء نجد التأكيد على إن اللفظ القرآني "الأمة المسلمة" يضم بصورة اشمل بيت المسلمين:

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء 92)

إنها سلسلة طويلة من الأنبياء والرسل منذ سيدنا إبراهيم إلى سيدنا لوط مرورا بسيدنا سليمان و يعقوب و إسماعيل و إدريس و ذو الكفل و ذو النون و ذكريا ويحيى و السيدة مريم. في حقيقة الأمر، إن كل هؤلاء ينتمون إلى جماعة واحدة على الرغم من محاولة الأجيال اللاحقة تقسيمهم إلى فئات مختلفة:

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ... ﴾ (الأنبياء 93)

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد على أن جميع من يخضع لعبادة الله امة واحدة وذلك بالطبع يناقض كلام معتنقي الفكر الطائفي أو ممن يحتمون وراء ستار العبادة الطائفية. والقرآن يقر بأن هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى امة واحدة:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ... ﴾

ويمكن تفسير ذلك بشكل أفضل من خلال الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل 120)

وإبراهيم نفسه يعتبر نبراسًا لجميع المسلمين في كل العصور والأزمان. و من المستحيل الطعن في إسلام إبراهيم لله حيث انه لم يقم بنسج عقيدة من وحي خياله ولم يقم بتشكيل العقائد المسيحية أو اليهودية؛ فأتباع ملة إبراهيم هم بلا شك جزء لا يتجزأ من الأمة المسلمة بمفهومها الشامل.

وقد ظلت هذه الرؤية الشاملة للأمة المسلمة قائمة حتى في عصور ضعف الحكم الإسلامي، وقد ظل هذا المفهوم الاشمل ثابتاً حتى في أثناء فترات الحروب الضارية و النضال الشرس عندما كان على



المسلمين مجابهة أحزاب اليهود والنصارى. وقد حذرنا القرآن مرات عديدة من الوقوع في شرك التعميم فهناك الكثير من أهل الكتاب الذين مازالوا متمسكين بالحقيقة.

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ (الأعراف 159)

حيث نجد من بين أهل الكتاب أناس يتسمون بالبر والتقوى لله ؛ هؤلاء الذين يقومون لـيلهم لـتلاوة كلام الله كما انهم يسجدون لله في خشوع كما قال الله في سورة آل عمران:

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمران 113)

وإذا كانت هوية الجماعة لا تعتبر سببا للنجاة فهي ليست أيضا مبررا للإدانة. فهناك أناس يعيشون بينكم ممن يخافون الله فهؤلاء يحق عليهم قول الله في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات 13)

في ذلك اليوم– اليوم الآخر– سوف تتحمل كل نفس مسئولية أعمالها فقط:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحجرات 38)

ومثل هذه الآيات تكون بمثابة إشارات كافية إلى حقيقة أن المسلمين لله يمثلون امة واحدة وهم الذين ينعم الله عليهم من فضله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(البقرة 62)

وتوسع هذه الآية الكريمة دائرة الناجين من النار لتشمل أتباع الأنبياء الآخرين وأصحاب الرسالات السماوية الأخرى لذلك تعتبر هذه الآية لغزًا طالما حير الكثير من علماء المسلمين والفقهاء وكانت سببا



لنشوب العديد من الخلافات التي لا يمكن حلها؛ وفي الوقت الذي يؤمن فيه أبو حامد الغزالي وراشد رازا والطبطبائي بفكرة ان رحمة الله تتسع لتشمل المسلمين من أصحاب الرسالات السماوية الأخرى، فإن أغلبية علماء المسلمين يرفضون هذه الفكرة ويعتبرونها دليلاً على الكفر حيث يتساءلون في سخرية عن موقع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)!

وكلما زاد عدد المسلمين الذين ينظرون لسيدنا محمد على أنه مؤسس امة جديدة، زادت الصعوبة بالنسبة لهم في رؤيته نقطة التقاء لأتباع ملة إبراهيم. وهم بذلك يتجاهلون حقيقة أن الإسلام، وهو دين الله المختار الذي قام كافة الأنبياء المخلصين بنشره عبر التاريخ يركز في الأساس على عبادة الله جل وعلى، ونجد أن القديس وأغسطس هو صاحب الفكرة اللاهوتية بأنه لا خلاص بدون "يسوع". ففي واقع الأمر نجد أن هؤلاء الذين يضعون سيدنا محمد في مكانة مشابهة أو ممن يبالغون في التواكل على شفاعته يعدون مذنبون لأنهم بذلك قد اتبعوا اتجاه أغسطس.

وعلى النقيض من فكرة مسيحية أوغسطس التي تؤمن بأن الخلاص هو حق قاصر فقط على المسيحيين نجد إن القرآن يحذر الإنسان من إصدار مثل هذه الافتراءات في هذا الموضوع بالغ الدقة، بل يجب علينا أن نبقى صامتين ليس فقط بخصوص أهل الكتاب الذين نعتبرهم حلفاءنا الطبيعيين ولكن أيضا بالنسبة لهؤلاء المذنبين بتهمة الكفر؛ فهذا يعتبر حق من حقوق الله تعالى حيث انه يقول في كتابه العزيز:

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ....(١٧)﴾ (الحج 17)

وكما خلق الله الناس ينتمون إلى شعوبا وقبائل متعددة ليتعارفوا فيما بينهم كما يقول في كتابه العزيز:

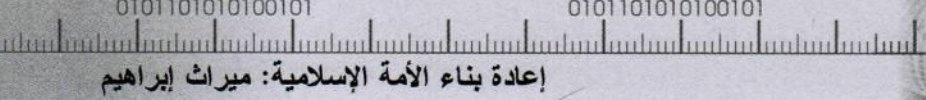
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ....(١٣)﴾

(الحجرات 13)

نجد إن حكمة الله تقتضي أن ينتمي عباده إلى خلفيات وهويات مختلفة:

﴿... وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ (٤٨)﴾ (المائدة 48)

إذا وجد المسلمون لله الواحد أنفسهم يسلكون مسالك شتى في سبيل طاعة الله لا يجب أن يساورهم القلق بشأن ذلك؛ والقرآن يشهد على حقيقة أن التوراة والإنجيل ما هي الا كتب سماوية أتت من نفس المصدر قد يجد فيها المرء هداية ورشاد. والذين يدعون أنفسهم من ورثة الأنبياء لا يجب أن ينغمسوا في




خلافتهم لدرجة تجعلهم يقررون من هم أهل النار ومن الفائزين بالنجاة منها. عوضا عن ذلك، يجب أن نقوم بمجاهدة أنفسنا لنستبق الخيرات؛ حيث إن الله تعالى هو وحده هدف جميع البشر حيث إنه هو وحده القادر على أن يدلنا على حقيقة الأمور التي تكون محل خلاف بيننا.

لم يتعرض المسلمون الأوائل لمناقشة مثل هذه القضايا على الرغم من إدراكهم الكامل للمكانة المتفردة التي يتبوؤها محمد صلى الله عليه وسلام في التاريخ ، ولكنهم على العكس اتخذوا من أتباع الرسالات السماوية السابقة أنصارا طبيعيين لهم ومن الممكن أن يجمعهم منهج حياة مشترك

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران 64)

وباعتبارهم يلعبون دوراً قيادياً دائمًا، فقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في التسامح لتقبلهم دخول الكثيرين من أتباع الرسالات السماوية السابقة إلى حظيرة الإسلام. فالحركة الإسلامية الحديثة كانت تفتح الباب على مصرعيه لدخول كل من يريد التسابق في فعل الخيرات، وعلى الرغم من ذلك، كان يتم دائما تذكير المتعصبين بالفكر الطائفي أو هؤلاء الذين يظهرون اهتمامًا مفرطًا لهويتهم اليهودية أو المسيحية، بأنه لن يجازيهم الله خيرًا عن أفعالهم إلا إذا التزموا بتعاليم التوراة الصحيحة:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (المائدة 68)

وبالرغم من ادعائهم بأنهم ممثلين للعقائد اليهودية و المسيحية، إلا أنهم قد أضفوا على أنفسهم بعض صفات الألوهية وانغمسوا في تطبيق فكرة طائفية العبادة. ومثل هؤلاء الأشخاص من أصحاب العقول المنغلقة لا يمكن أن نتوقع منهم أي خير، ومن الأفضل ألا نتخذهم أولياء من دون الله كما قال الله في كتابه العزيز:

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ .. ﴿٥١﴾ ﴾ (سورة المائدة، 51)

ولا ينبغي علينا التعميم في تطبيق مثل هذه الأحكام. فالله تعالى يذكرنا في القرآن الكريم:



﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

(آل عمران 113)

وبما أن المسلمين الأوائل قد اعتبروا أهل الكتاب هو أنصارهم الطبيعيين فلم يجدوا حرجا في مخالطتهم والتعامل معهم في إطار المجتمع وقد جعل القرآن طعامهم حلالاً للمسلمين

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ .... ﴾ (المائدة 5)

ففي ظل مجتمع موحد بالله وقائم على أساس التقوى والمكانة السامية للدعوة لأن نكون ربانيين، ما كان يستطيع أحد أن يتصور أنه سيأتي اليوم الذي يصيب المسلمين أنفسهم ما أصاب أصحاب الرسالات السابقة لدرجة تجعل من الصعب اعتبار أنفسهم حاملي الرسالة الربانية، بل الأكثر من ذلك أنهم اتخذوا من كينونتهم المسلمة مجرد هوية ثقافية أكثر من كونها خضوع مطلق خالص لوجه الله تعالى. وللأسف ، فقد أسهمت بعض العوامل التاريخية والثورات السياسية في تفاقم هذه الكارثة التي حلت بالمسلمين؛ وبالتدريج، بدأت الهوية القومية الإسلامية في احتلال الصدارة بدلاً من الهوية الربانية، وبالتالي أدى ذلك إلى انغلاق العقل المسلم، وبعد ذلك وجد المسلمون أنفسهم محاطين بخضم من النصوص التاريخية المشكوك في صحتها والأحاديث غير الصحيحة التي عليهم الاعتماد عليها في تشكيل الهوية المسلمة الجديدة للقرون التالية. وقد أدى تحول الأمة التي من المفترض أنها تحمل رسالة التنوير للعالم كافة حتى قيام الساعة -من أمة مسلمة إلى أمة محمدية- الى انبثاق مجموعة مستحدثة من الآراء الطائفية حول مفهوم الأمة ورسولها، وقد سار المسلمون الحاليون على نفس نهج أصحاب الرسالات السماوية السابقة حينما بالغوا في التواكل على كونهم خير أمة أخرجت للناس، كما بالغوا في الاعتماد على فكرة أن نبيهم أعلى الأنبياء مقامًا. وباعتبارهم حاملي القرآن الكريم، فقد رفض المسلمون من قبل تقبل الادعاء غير المنطقي الذي ادعاه اليهود بأنهم لن تمسهم النار سوى أيامًا معدودات وأن الجنة سوف تكون مثواهم الخالد بغض النظر عما اقترفوه من ذنوب، ولكن في واقع الأمر فقد قام المسلمون ألان بتكرار نفس الأقاويل حول أنفسهم.

ولقد تواترت الروايات التي شكلت العقلية الإسلامية حول الامتياز الذي خص به الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء في الشفاعة لامته للنجاة يوم القيامة. في ذلك اليوم الموعود الذي لن يستطيع أي نبي من الأنبياء السابقين بما فيهم إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء الآخرين طلب

الشفاعة ولو لفرد واحد، نجد أن محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ذلك الامتياز الذي منحه الله إياه يرفع راية الحمد لله ويمكنه عندئذ أن يشفع لأمته بأسرة لدخول الجنة. كما توحي بعض الأحاديث التي تروي دخول المسلمين جميعا الجنة بشعور عام بأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم جمعاء سوف تدخل الجنة بنفس الطريقة التي سيدخل بها أنبياء بني إسرائيل. إن تصور وجود إله ظالم ونبي غير عادل على حد سواء لا يدع أمام المسلمين خيارًا آخر سوى الاحتماء نفسيا داخل قوقعة من صنع أيديهم، الأمر الذي يعد خطأ جسيماً. وقد أدت فكرة تفرد محمد صلى الله عليه وسلم وتميزه عن الأنبياء السابقين إلى جعل البعض يصورونه على أنه بطل طائفة دينية معينة، فهؤلاء ممن يظنون أنهم عندما يصورونه كبطل عظيم للأمة المحمدية يقومون بالمبالغة في الثناء عليه كانوا في حقيقة الأمر يمطرونه بوابل من أشد وأسوأ أنواع الإهانات.

نبي العالمين العظيم الذي وصفه القران بأنه رحمة للعالمين- وكما اخبرنا المفترون،- أنـــه عنـــدما واتته المنية لم يكن قلقا سوى على أمته، فعلى فراش الموت ظل يردد أمتي أمتي ، كما انه في يوم القيامة - كما روت الأحاديث- سوف يحسن استخدام حق الشفاعة الذي منحه الله إياه لصالح أمتـــه. فـــإذا تـــم اعتبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه شخص يعمل في سبيل تحقيق الخير للأمة المحمدية فقـــط، فكيـــف يمكن توقع الخير من أتباعه الذين من المفترض أن يحملوا رسالة خير للبشر أجمعين من بعده.



إلى أين المسير؟

(هذا الملخص مقتبس من مقدمة د. شاز لكتابه الكبير متعدد المجلدات "إدراك أسباب تراجع الأمة")

منذ قرون عدة ونحن المسلمين نجد أنفسنا في منحدرٍ زلق؛ ولأننا نعاني وطأة التخلف، ينتابنا شعورٌ بعدم الارتياح لأننا لم نعد الأمة التي تملك ناصية التاريخ، غير أنه يصعب علينا الاعتراف بهذه الحقيقة. وطالما أننا لا ندرك على وجه الدقة شدة وطأة هذا التخلف وأبعاده المختلفة، فلن يتسنى لنا التعرف على طبيعته على الوجه الصحيح؛ وبالتأكيد لن يكون هناك تحركٌ فعالٌ ومُركز لإيجاد علاج لهذا الموقف؛ فقد تحدث مفكرونا على مدى القرون العديدة الماضية عن تخلفنا، الأمر الذي خلف شعوراً سائداً بأننا فقدنا شيء ما في مكان ما. ومع هذا فلم يكن هناك غير عدد قليل جداً من المحاولات الجادة التي تبذل لتحديد الخسارة وإظهار أبعادها؛ فما كتب عن أسباب هذا التخلف منذ سقوط بغداد وغرناطة جاء ضئيلاً وهزيلاً لدرجة تثير دهشتنا من الأسباب التي جعلت جموع مفكرينا ومثقفينا البارزين تتناول هذه القضية على استحياء؛ هذا بالإضافة إلى أن ما كتب عن تلك المسألة لا يعدو أن يكون تعليقات ركيكة أكثر من كونه عملا متماسكًا متكاملاً.

وعندما يترسخ لدينا أن الدين ما هو إلا تقليد أعمى للعلماء المتقدمين، ويستند هذا الفكر إلى أن أجيال المتقدمين قد أتموا عملية الفكر والتدبر، فسيبدو أن أيسر شكل للحياة الدينية الصالحة لن يتأتى إلا بإتباع السابقين واستقاء العلم من مدارسهم الفقهية؛ وفي مثل هذا الجو الذي يسوده التقليد لا يُتوقع ممن يعيشون فيه أن ينظروا إلى المتقدمين بعين ناقدة؛ وإذا كانوا يؤمنون بأن العلماء السابقين قد استنبطوا من الوحي السماوي كل ما يمكن استنباطه وعبروا عن ذلك بكتاباتهم الشهيرة، فلن يخطر ببالهم أبدًا أن يحاولوا فهم القرآن الكريم بأسلوب جديد ويعملوا على تقييم رصيدهم الثقافي والديني في ضوء كتاب الله عز وجل. وقد أرجع العديد من الناس تخلفنا إلى بعدنا عن الدين، وأنه بعودتنا إليه سوف نعود إلى مكانتنا السيادية السابقة. مبدئيًا تبدو هذه الإجابة منطقية، ومع ذلك لما نستطع أن نحدد بوضوح كيف يمكننا الرجوع إلى الله ورسوله في عالمنا اليوم، وبعبارة أخرى إننا لم نستطع تحديد الأسباب الوجيهة التي أدت إلى هذا التخلف والابتعاد عن مكانتنا العظيمة وهي أننا أتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وهذا هو السبب الذي جعلنا لا نزال غارقين في ورطة التخلف على الرغم من جهودنا التي رمت إلى استعادة مجدنا



السابق والرجوع إلى الدين الحنيف. بل إننا ندرك حقيقة أن قافلتنا التي ليس لها اتجاه محدد قد تضل الطريق عن هدفها الذي تصبوا إليه.

وتتوق قلوبنا إلى أن يضيء نور الوحي الإلهي طريقنا من جديد، وأن يرشد قافلتنا، التي طالما عانت من عدم وجود وجهة لها، كي تصل إلى غايتها المنشودة؛ ولكن المشكلة هي أننا في طريق عودتنا إلى أصل الدين نريد أن نحصل على موافقة من علماء الأجيال السابقة. وقد أيضًا نعتقد، وحالنا في ذلك حال اليهود، أن منهج السابقين في الفهم والدراسة ليس عرضة للخطأ، بل ونُنزل ما وصلوا إليه وما استنبطوه من أحكام منزلة الوحي نفسه، ولذلك فإننا نؤمن أن فهم القرآن الكريم فهمًا جديدة هو أمرٌ يفوق مستوى قدراتنا، كما أن قبضة ما يُطلق عليهم اسم "السلف الصالح" على الوحي الإلهي ما زالت قوية؛ حتى أننا توقفنا قرونًا عن استقاء الهدي مباشرةً من القرآن الكريم. فيبدو أننا نولي تراثنا الحضاري والعلمي أهمية أكبر من القرآن الكريم ذاته، وليس ذلك لأي سبب إلا أننا – حتى ونحن في أحلك أوقات الأزمات – جمدنا فهمنا للقرآن الكريم، ولكن ألم يحن الوقت لأن نهجر فكر المتقدمين. وفي حقيقة الأمر، إننا لا نعي تلك الأزمة الشديدة في الفكر الإسلامي التي حدثت في العصور الأولى للإسلام تحت تأثير فكر الحضارة اليونانية وفلسفة الحضارتين الهندية والفارسية والرهبانية القديمة؛ بل إننا لا ندرك ما تحمله من معاني. فمنذ بداية الفتنة التي أحدثها قتل عثمان بن عفان وصولاً إلى فترة ازدهار بغداد حاضرة العباسيين، ونحن نحاول باستمرار الخروج عن محور الوحي الإلهي. فقد انساق الناس وراء تأثير طرق غريبة من التفكير، كما لو كانوا ينظرون إلى أهمية دين موحى وإيمان أبدي مثل الإسلام من المنظور السطحي لأية حضارة. ومن هنا أصبحت الحضارة الإسلامية هي مرجع هويتنا وليس الإسلام نفسه؛ ففي هذه الفترة الطويلة بذل المفكرون المسلمين، متأثرين في ذلك ليس فقط بالسلف الصالح بل بالعلوم والحضارات الغريبة والأجنبية، جهودًا جادة وغير جادة لفهم الوحي السماوي متبعين في ذلك نماذج أجنبية. فإذا كان بعض العلماء قد انبهر بطريقة التفكير اليوناني، فالبعض الآخر حاول عبثًا أن يوفق بين مفهوم الرهبانية القديمة والإسلام. وبغية تصحيح تلك الالتباسات الفكرية، منهم من استعان بالتاريخ، في حين أن هناك آخرون اشعروا أن الاتجاه البدوي سوف يساعد بقدر أكبر من أية مناقشات أو شروح أو تفسيرات. وخلال تلك الفترة من الأزمة التي ظهرت في الفكر الإسلامي، كان هذا الانتشار الواسع نتاجًا لفهمهم ورؤاهم الخاصة. ولكن الاعتقاد المطلق بصحة اتجاه واحد فقط من بين هذه الاتجاهات يعني أننا نرفض تماماً الاتجاهات الأخرى، أو بعبارة أخرى إذا اختلف السلف الصالح فيما بينهم حول مسألة ما فسيكون من الحكمة أن ندرس كل تلك الاتجاهات في ضوء الوحي؛ وذلك حتى يتسنى لنا فهم أوجه الاختلاف بين المتقدمين بل وأن نكون أكثر ثقة في تخطيط طرقنا في ضوء الوحي السماوي. ولن يتحقق

هذا إلا إذا اعتبر الإنسان المعاصر نفسه هو المخاطَب بالقرآن الكريم. وهذا ما يؤيده رأي الشاعر الإسلامي محمد إقبال الذي يقول إن القرآن لم ينزل للأجيال السابقة فحسب بل نزل ليخاطب كل القلوب. فإذا لم يتحلى المخاطَب بمثل هذه الثقة، فإنه لن يستطيع أن يقي نفسه من تلك الالتباسات الفكرية التي وقع فيها بعض العلماء المتقدمين، وبالتالي سوف تفنى كل آماله في الرجوع إلى القرآن الكريم بسبب ارتداءه عباءة التفسيرات القديمة.

ولن يمكننا أبداً وضع حد لهذا التخلف الذي وصلنا إليه دون العودة إلى الفهم الصحيح للقرآن؛ وهذا هو رأس المسألة الذي سكت عنه مفكرونا، الأمر الذي يثير دهشتنا. مع ذلك، فإن عدم انحيازنا للوحي الإلهي ليس ظاهرةً جديدة، فقد بدأت منذ أن أُعطي لحفاظ الحديث مكانة أعلى من مكانة القراء، وخلال جمعنا وتصنيفنا لآثار وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، حَوّل إدراكُنا المتغاير للتاريخ اتجاهنا نحو القرآن الكريم. وسرعان ما وجدت الإسرائيليات والأساطير الطويلة التي لم تُذكر في القرآن، تحت تأثير الأفكار اليونانية، طريقها إلى التفاسير. وإذا أردنا أن نمسك بأهم خيط من خيوط تلك المسألة، فعلينا أن نعرف الطريقة التي فُقدت بها رسالة القرآن خلال الممارسات التفسيرية. والشيء الذي يُرثى له أنه على الرغم من تلك القرون التي مضت من تفسيرات وشروح القرآن، إلا أننا ما زلنا لا نقبل القرآن كتابًا يُهتدي به. وإن كنا قد صرفنا جميع جهودنا العقلية في الماضي لمحاولة فهم مسألة "خَلق القرآن"، فإننا اليوم نفقد هذه الطاقات ونحن ندرس الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على أنه غاية الوحي الإلهي. فالاتجاهات المختلفة التي ظهرت لدراسة القرآن تتناقض كلية مع أهداف الوحي الإلهي وغاياته، ومن المنتظر أن يعود ركبنا الفكري الذي ضلّ طريقه إبان العصر العباسي إلى الطريق القويم مرة أخرى. وطالما ظلّ الوحي لا يُفهم بالطريقة المناسبة كوحدة مستقلة من المعارف، فإن مناقشاتنا غير المنطقية ومما حكاتنا الحمقاء لن تساعدنا في فهم ذلك، وسنظل نخلط بين فهم الإسلام من ناحية وعظمة الإسلام إبان العصر العباسي من ناحية أخرى.

ويجب أن يتم بحث مسألة تخلف الأمة الإسلامية وتدهورها من منظور تخلف في طريقة الحياة وليس من زاوية تخلف القوم أنفسهم، فإن فعلنا ذلك سوف نتمكن من إدراك جملة أبعاد هذه المشكلة؛ وفي هذا الصدد، يعتبر اصطلاح "**الحضارة الإسلامية**" اصطلاحًا مضللاً واستعمالاً خاطئًا في غير موضعه، لأنه لا يمكن حصر الإسلام على قالب حضاري معين؛ فلا يمكن لرسالة عالمية مثل رسالة الإسلام أن تظل حبيسة ثقافة أي جنس أو لغة أو منطقة. إن من يرى أن بغداد حاضرة العباسيين كانت هي العصر الذهبي لازدهار الحضارة الإسلامية لا يدرك عظمة الحضارة في المدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو ينظر نظرةً سطحية قاصرة إلى مظاهر المهابة والجلال والعظمة. فالإسلام لم يأت لإقامة



إمبراطورية عربية، إلا أن هناك طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين قد أعطوا تبريرات إسلامية للحكام لعمل توسعات في هذه الإمبراطورية. فقد قام بعض القادة السياسيين المنحرفين والحكام الظالمون ببناء دول وإمبراطوريات لهم تحت اسم الإسلام، الأمر الذي جعل الاعتقاد السائد هو أن الإسلام قُصد منه دعم فكرة تحقيق الغلبة للأمة الإسلامية أكثر من كونه هداية للبشرية جمعاء؛ وهذا المفهوم الإسلامي والطريقة الثقافية في إظهاره على وجه الخصوص لا تتشابه إطلاقا مع نموذج المدينة المنورة الذي بُني بقوة الكلمة – الفكرة الإصلاحية – والذي لم يكن له أية مرجعية تاريخية للقوم، ولم يلق بثقله على عاهل من كان يطلق عليهم اسم المسلمين في ذلك الوقت (أي اليهود والنصارى)، بل على النقيض ظلّ (فكرياً وعقائدياً) بعيدًا عنهم ومؤكداً على مبدأ (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة).

وقد عبرت الدعوة إلى هذا الإسلام الحنيف كما عبر النداء القرآني العظيم" كونوا ربانيين" تعبيرًا صادقا عن قوة وحقيقة الوحي، وهي القوة التي تكمن في القوة الداخلية للقرآن ذاته، وليس فقط في العلوم المنبثقة عنه أو المتفرعة منه؛ ومن هذا المنطلق لم يكن الأمر بإتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبنيًا على أساس هويةٍ حضارية بل كان أساسه التغيير الجذري في عالم الفكر والعمل. فالناس كانوا يرون أنه الإسلام الحق يعني أن تكون مثاليًا وتسمو فوق كل شيء بعيدة عن أية حدود حضارية، تلك الفكرة التي وصفت كل الأسس السابقة لأية حياة جماعية بأنها مكررة، فالمسلم الحنيف والذي كان نتاجًا حقيقيًا لهذه الفكرة الإصلاحية يمكن وصفه بأنه إنسان عالمي بالمعنى الحقيقي للكلمة، ومن هنا كانت كل دعوة إلى اعتناق الإسلام الحنيف تفتح أمام العباد احتمالات غير محدودة من العبودية؛ فقد كان سلمان الفارسي وبلال الحبشي يعتبران نفسيهما، مثل أبي بكر وعمر، عضوين في تلك المدرسة الفكرية التي لا تلقي اعتبارًا لعصبية العرب والعجم، أو تميز بين الأبيض والأسود أو التمييز بين لون ما أو جنس ما. فالتطبيق العملي لمبدأ "إن أكرمكم عند الله اتقاكم" قدّم الإسلام في صورة منهج حياة وليس كعلامةٍ لهويةٍ ما، ومن هنا كان الإسلام بابًا مفتوحًا تدخل منه الفئات المهملة من قوافل البشرية زمرًا، و قد وجد كل واحد منهم، حسب إمكانياته، المجال لخلاصه ونجاته. حتى أن الذين انشغلوا بتأسيس أركان الدين أو اشتركوا في الفهم الخاطئ عن حصر بقاء الإيمان في إيمان قوم موسى وعيسى (عليهما السلام)، قد دعاهم الإسلام للمشاركة في تأسيس مجتمع عالمي. وبعبارةٍ أخري كان قول الله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

فكان نداءً عامًا للجميع؛ وقد امتد هذا النداء ليصل إلى كل أصحاب الضمائر الحية حتى لا يُحرموا من أن يلحقوا بركب تلك القافلة التي اجتمعت على أساسِ رغبتهم في الاستسلام لرب الأكوان وإيمانهم



بوحدة البشرية، بغض النظر عن اللون أو الجنس وبغض النظر عن الروابط القبلية أو الثقافية ضيقة الأفق.

فمن الواضح أنّ هذه الرسالة السماوية المتفائلة سوف تحتضن المذنبين والعصاة ومن لا قيمة لهم من البشر عند اعتناقها، وهنا يعطي الوحي الرباني الشخص الشعور بالمغفرة و سوف تبعث سياسة المساواة الأمل حتى بين أكثر الناس ضعفًا واضطهادًا؛ وعلى العكس عندما بدأنا نقرأ القرآن الكريم على أنه كتاب للفقه أو الشريعة وليس على أنه كتاب للهداية، أصبح علماؤنا في التفسير، في واقع الأمر، منادين بهذا التصريح القرآني "وقالوا كونوا هوداً أو نصارى" أكثر من خلق مسلم صالح. فقد صرفنا كل جهودنا وطاقاتنا في خلق مسلمين تقليديين تمامًا مثلما فعل اليهود والنصارى. ومن هنا بدأ الإسلام يُعرف بأنه محدد للهوية وليس كموقف من حياة. هذا بالإضافة إلى أن التفسير الفقهي للقرآن الكريم لم يشعر الآخرين فحسب بأن أبواب الإسلام موصدة أمامهم بل أظهر الارتباك والخلاف داخل الأمة الإسلامية؛ فقد تعتبر أحد الفرق التي تنتمي لنفس المجتمع أن من واجبها الديني تكفير فرقة أخري. وفي ظل فوضى تلك المزاعم التي ترمي بالكفر والرد عليها بمثلها أصبح من الصعب معرفة من يستحق أن يدعى مسلمًا حقيقيًا؛ فقد مضت قرون كثيرة ولم يستطع الفقهاء التوصل إلى إجماع حول الأركان الأساسية للإيمان؛ فهناك كثير من كتب العقيدة الكثيرة والتي ظهرت في عصور مختلفة تقف شاهدًا على أن فكرة الاستسلام الكامل لله تعالى والتي فرضها على المسلمين قد فُقدت في إطار التأملات العقلية للفقهاء المسلمين. وعلى الجانب الآخر، هناك تذكرة في القرآن تقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾

في حين أنّ هناك تأكيدٌ صارم بين الكتب التي ألفها العلماء في الفرق المختلفة أنه يجب قبول ما قالوه في كتبهم إذا ما أرادوا أن يصبحوا مسلمين حقا؛ وعندما أعلن العلماء أنفسهم مرجعيات دينية، بدلاً من أن يعتبروا أنفسهم تلاميذًا للوحي، كان من الطبيعي أن تنشأ مثل هذه الالتباسات.

لقد وحّد الوحي الرباني الفرق المختلفة والمشتتة وربطهم برباط مشترك؛ فقد أعلن صراحة أن جميع الأنبياء السابقين وأتباعهم المخلصين ينتمون إلى أمة واحدة تؤمن بوحدانية الله تعالى سواءٌ كان إبراهيم أو يعقوب وذريتهم من الأنبياء أو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ينتمي إلى ذرية إسماعيل. كانوا جميعًا ينتمون إلى كوكبة رائعة من الأنفس النقية؛ فمن شاء أن يدخل في تلك القافلة فلا يمكن له أبدًا أن يتبرأ من أتباع الرسل السابقين، وقد وحّد البيان القرآني

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾

الأنفس النقية من المسلمين في شتى بقاع الأرض ومن كل الأمم وجعلهم أمة واحدة.

وفي سياق هذه الدعوة الإسلامية العالمية يفقد كل من الفخر العنصري لليهود وزعم النصارى أن الخلاص يكون في الإيمان بدينهم وزنه؛ وكثيراً ما أكد القرآن الكريم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بدعوة جديدة أو دين جديد ولا يهدف إلى تشكيل أمة جديدة بل مهمته إحياء ملة إبراهيم، هذا الدين الذي يعتبر الأسوة المتبعة في كل العصور.وقد كان هذا الأسلوب القرآني للتخاطب محاولة جديرة بالثناء من أجل توحيد المسلمين من شتى البقاع ومن كل الأمم، واختير لقيادتهم سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى آخر الزمان. إنّ مفتاح نجاح حياة النبوة القصيرة التي عاشها النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد البعثة خلال الثلاثة والعشرين عامًا يكمن في هذه الرؤية واسعة الأفق للقرآن الكريم.

وهذه ما هي إلا محاولة لفهم الظاهرة السابقة؛ أي كيف يحظى ما كتب عن الوحي الإلهي في العصور الأولى للإسلام بمثل هذا الاهتمام، بدلاً من الاهتمام بالوحي ذاته لدرجة أصبح معها الإسلام الحنيف ما هو إلا مجرد هوية؛ فالكتاب، الذي يبدأ بإثبات أنه (هدى للمتقين)، يبدو من خلال التفسيرات الفقهية لهذه الآية، أنه يغلق الباب أمام المتقين من أهل الثقافات الأخرى. إنّ عواقب التفسير الفقهي الخالص للقرآن وإعلان أنّ هذا هو جوهر الدين تكمن في أن تلك الأمة التي شرفها الله بمنصب قيادة العالم وقعت في شرك سيكولوجية المجتمع المحمدي؛ فبالإعراض عن مشاكل العالم والتخلي عن فلاح البشرية، بدأنا نركز اهتمامنا على هوية ثقافية معينة لأمة قدر لها أن تكون مسلمة؛ حتى أن فقهاءنا قد قسموا العالم إلى دار للإسلام وأخرى للكفر مما قد يعطي الانطباع بأنه ليس لنا علاقة بتلك المناطق الأخرى التي ليس فيها سكان مسلمون. ويرجع السبب في تخلينا عن مسئولية قيادة العالم في الحقيقة إلى بعض التفسيرات المضللة للقرآن؛ ومع تقدم الزمان، تزداد الجهل بالقرآن أكثر وأكثر. وإذا لم نتدارك أخطاءنا السابقة، فإن كل خطوة إلى الأمام سوف تحدث مزيدًا من الالتباسات. وما نحتاجه الآن هو أن نتعرف على العواقب الوخيمة للالتباسات التي حدثت في ماضينا، وهذا يدفعنا إلى أن نخرج من دوامة الشر التي هوينا فها، ثم كما وعد الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وبهذه الطريقة نلتمس السبل والإمكانيات الجديدة لأنفسنا، ويقتصر حديثنا في هذا الجزء من الكتاب على إدراك الالتباسات وفي الجزء القادم، إن شاء الله، سوف نتحدث عن سبيل للخروج من كبوتنا الحالية وسبل عودتنا إلى مركز السيادة مرة أخرى.



هل من سبيل للخروج من هذا الشرك؟

يقع المسلمون جميعًا اليوم في قبضة الشرك وما ينبعث عنه من شرور، ويكمن السبب الرئيسي في سقوط المسلمين وتخلفهم عن المكانة العليا التي تؤهلهم لقيادة العالم في انحرافهم عن طريق التوحيد القويم. فما ينزل من عقوبات ببعض الأمم التي اتخذت من الشرك منهاجًا لها، وكذلك والطريقة التي ضلوا بها طريقهم في هذه الحياة، يمكن رؤيته بوضوح في الحال التي عليها المسلمين الآن في جميع أنحاء العالم.

وخلال السنوات القليلة الماضية بدا المفكرون المسلمون في حالة ضجر وسألوا أنفسهم عما إذا كان الله قد تخلى عنهم. وبعد ذلك كله، ما السبب الرئيسي الذي جعل دماء المسلمين رخيصة إلى هذا الحد الذي نراه في عالمنا الحالي وكذلك السبب وراء تدنى درجة اعتزازهم بأنفسهم؟ وقد أصبح هذا السؤال ملحا، خاصة في أعقاب الأحداث المرعبة التي نطالعها في أفغانستان والعراق. ونجد الحاجة ملحة لان نسأل أنفسنا، لماذا حجب الله نعمه وفضله عن أصحاب الدين الخاتم؟ هذا السؤال مازال في الواقع في حاجة إلى إجابة مقنعة.

والحقيقة إننا أصبحنا بعيدين عن رحمة الله – مثلنا مثل بني إسرائيل في ذلك – ورغم ذلك مازلنا نوهم أنفسنا بأننا مازلنا أفضل الأمم عند الله على الرغم من أنه يتضح جليا في التقدير الالهى للأمور إننا لسنا من أهل الحل والعقد في هذا العالم. ومما يدعو للأسف أن كل ما نحن فيه من ضلال ينبثق من تديننا الزائف، لذلك لا يصعب على عامة الناس فقط بل وعلى المتخصصين أيضًا إدراك الحقيقة والعمل على إنصافها. كما إننا نزعم أن الأمة برمتها قائمة على الإيمان، أو علي الأقل أن هناك الكثير من الأنشطة التي تحدث في المجتمع باسم الإيمان، لكن إذا ما نظر المرء بعين الواقع فسوف يدرك أن ذلك ما هو إلا وهمٌ عظيم.

فالتوحيد يجمع الإنسانية برباط واحد، بينما يمزقها الشرك إربا. فطريقة التفكير التي يؤيدها ويساندها مفهوم التوحيد تضع في تصورنا فكرة الإله الواحد والبشرية جمعاء ككيان واحد؛ وعلى العكس من ذلك نجد أن الشرك قد أفسد على العقول بهجتها عندما تحرى كل الذرائع لتمزيق البشر إلى آلاف القطع. وهذه



الرسالة هي ذاتها التى أرسلت على أتباع الأنبياء السابقين، لكنهم قد مزقوا أنفسهم إلى طوائف صغيرة بتفسيرهم للرسالة السماوية على أهوائهم. ويصرح القرآن بان ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قد شهد نهاية الطائفية وإحياءً لمجتمع توحيدي؛ قال تعالى

﴿... فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ... ﴾ (آل عمران: 103)

والشرك له قدرة عجيبة على التوغل في عقول المؤمنين من خلال الإيمان نفسه، وهذا ليس جديدًا في تاريخ الإنسانية؛ فعبادة الشمس والقمر والشجر خير دليل علي الشرك الذي يفهمه أقل العقول إدراكا. ومع ذلك فإن الدعوة إلى الطائفية باسم الدين، أو تقديم تفسيرًا خاصًا للإيمان بالإيمان نفسه، ثم الانحناء احترامًا له، وهو عمل لا تنطوي معانيه على دليل لأحد.

وإذا ما نظر المرء إلى الأمة الإسلامية جمعاء سوف يتساءل عن سبب تصارعها مع نفسها؛ فإذا كان هذا الصراع في بعض الأحوال بسبب اللغة، فإن الكلمات والمراسيم تستخدم في أحيان أخرى كوقود لإشعال فتيل تلك المعركة. فالمسلمون الذين ينتمون لطائفة معينة لا يشعرون بتأنيب الضمير إذا قتلوا مسلمًا ينتمي لطائفة أخرى حتى لو كان هذا أثناء صلاتهم داخل مسجد واحد. والمنتديات الإسلامية التي تعمل في مختلف أنحاء العالم باسم الدين يقتصرون على نشر وجهة النظر الخاصة بالطائفة التي ينتمون إليها، وأحيانا ما يستشهدون بالقرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ويكون هدفهم الحقيقي من وراء ذلك إثبات أن الطائفة التي ينتمون إليها هي وحدها التي على حق وأن ما عداها باطل، وهذه ليست ظاهرة قاصرة على الهند وحدها، ولكنها موجودة في أي مكان في العالم، ولا تستثنى من ذلك المجتمعات الإسلامية في أوروبا وأمريكا حيث لا تكون الطائفية أقل حدة. وحقيقة، فإنهم قد شغلوا أنفسهم بعبادة المذهب الذي ينتمون إليه، بدلا من عبادة الله. ويبدوا أن الفرقة أو الطائفة التي ينتمون إليها قد استبدلت الإله الذي يعبدونه، واقروا صحة شرح وتفسير الدين الذي يصدر عن شيوخهم وكأنه قد صدر من النبي نفسه. ويشير القرآن إلى مثل هذه الآية في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴾ (الأنعام: 159)

فلقد تمت صباغة التزامنا بعقيدتنا في الوقت الحالي بطائفية من جميع الأنواع، فإن كافة مدارسنا، المنقسمة على أنفسها، مشتركة في نشر الأفكار الطائفية، كما أن مجتمعنا بالكامل مقسم على أساس مدارس مختلفة من الفكر مثل المدرسة الحنفية والمدرسة الشافعية وغيرها من المدارس. فمن اليسير على



المرء أن يدرك بنزعته التي تميل إلى الانقسام، إن الأمة ما برحت منفكة من ذلك الرباط المقدس أو (حبل الله) الذي يربط بينها وبين الله تعالى. فلا يوجد في العالم بأسره من يدعو البشرية لعبادة الله الواحد، ويأتى النداء من على كل منبر مسجد ومنبر مدرسة ليدعوا الناس لإتباع طائفة معينة، لأن هذه الطائفة تؤمن بالعقيدة الحقيقية. ولا يدور في خلد هؤلاء الذين ينادون بمثل هذه الدعوات أنهم يقومون بنشر أسوأ أنواع الطائفية باسم الإسلام. ونتساءل عن السبب وراء ذلك، فرغم وجود القرآن، يعتقد التابعون لمختلف الطوائف والمدارس الإسلامية بأنه من الضروري إتباع الكتب التي كتبها قادتهم حتى يتسنى لهم استكمال رسالتهم الدينية! هل لازال من الضروري الاستعانة بالكتب التي كتبها الشارح أو العلماء أو الفقهاء، حتى مع وجود القرآن؟ وقد ذكر القرآن ذلك صريحا في قوله تعالى:

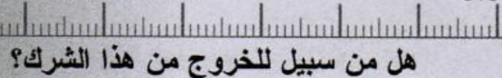
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران 105)

وبعبارة أخرى، نجد أن القرآن يحذر المسلمين من أن يصبحوا مثل هؤلاء الذين وقعوا فريسة للطائفية، رغم كل النصائح الصريحة التي وجهت إليهم، لأن ذلك سيؤدي إلى العقاب الشديد.

إن الأزمة الطاحنة التي يمر بها المجتمع الإسلامي الآن ما هو إلا نتيجة حتمية لانغماس تلك الأمة في الانشقاقات والخلافات الداخلية. فحينما قدس أتباع هذا الدين مبدأ الطائفية بدعوى تفسير الدين انغمسوا بدورهم في فكرة طائفية العبادة. ويذكر القرآن أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل جميع الأنبياء بدين واحد وحثهم على الاعتصام به وعدم التفرق فيه إلى طوائف؛ قال تعالى:

﴿ ...أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ... ﴾ (الشورى: 13)

ولذلك فقد بعثت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتشمل البشرية جمعاء بما في ذلك أتباع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؛ حيث بقي الكثير من الشعائر المشتركة بينهم، وعلى الرغم من ذلك فقد انهمكوا في الممارسات الطائفية باسم الدين. ولقد غالى أصحاب الديانات السابقة في ادعائهم بأن من أراد أن يضمن مكانه في الجنه ما عليه إلا أن يتبعهم، ولذلك فقد طلبوا من الناس أن لا يكونوا إلا يهودا أو نصارى. ولقد عبر القرآن عن هذا المعنى، اذ يقول الله تعالى:




﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَرَىٰ تَهْتَدُواْ ... ﴾ (البقرة: 135)

فهؤلاء الذين ينظرون إلى أنفسهم بكل اقتناع على أنهم مسلمو العصر، قد انخرطوا في الحقيقة في معركة جدال فيما بينهم تستنزف قواهم جميعًا. وسوف يدعي بنو إسرائيل أنهم هم الفئة الوحيدة الثابتة على الصواب ويحطون من شأن النصارى، في الوقت الذي يدعي فيه النصارى نفس الشيء. ولقد صرح القرآن بان هذه الطائفية وذلك الاختلاف مناقض للدين وتعاليمه. أما بالنسبة لأتباع الأنبياء السابقين الذين انشغلوا في معركة الاستنزاف هذه ويعانون من ويلاتها، قدم لهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسالته السمحاء التي لا تتماشى مع أهوائهم في أن يكونوا اتباع يهوه أو المسيح، ولكن تدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين ولا يتبعون إلا ملته؛

قال تعالى:﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ (آل عمران: 79)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة: 138)

إن السور الأول التي نزلت من القرآن الكريم كانت تحث مسلمي ذلك الوقت (بني إسرائيل والنصارى) – أي أتباع الأنبياء الأولين – على التحرر من قيود العنصرية، حيث يقول الله جل وعلى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران: 67)

فدعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى التوحيد جعلت مسلمي ذلك الوقت يؤمنون بأن المعتصمين بالتوحيد الخالص لا يمكنهم أبدًا أن يدعوا للنزعة الطائفية، حتى لو كانت هذه النزعة نابعة من أي نبي؛ لأن ما أراده الله لم يكن أن يجعل الناس يهودًا أو نصارى، ولكن ربانيين حقًا.

كيف يتسنى للكتاب الذي لا يسمح بالطائفية، حتى لو كانت نابعة من نبي، أن يسمح لأتباعه بأن يكونوا طوائف شتى أو فرقا مختلفة بأسماء قادتهم؟ فلقد قلبنا الآية القرآنية التي تدعونا إلى أن نكون ربانيين "كُونُوا رَبَّانِيِّينَ" رأسًا على عقب، ويجب أن نسأل أنفسنا كيف تسنى لأتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يقبلوا بتقسيم مجتمعهم إلى طوائف متعددة مثل الحنفية والشافعية والشيعة والسنة والباريلفي



والديوباندي والسلفية وغير ذلك؟ كيف يُعقل أن يتحول الأناس الذين كانوا معروفين بإخلاصهم الشديد لفكرة التوحيد أن يشاركوا في نوع من أسوأ أنواع العنصرية، حتى إنه بدأ يصبح جزءًا عاديًا من حياتهم؟ لماذا لا تستطيع الطوائف الإسلامية المختلفة والمنشغلة بعبادة عقيدتها- وللأسف فهذا دأب معظم المسلمين اليوم - أن ترى التأكيد القرآني الصحيح بأن من اختلقوا الفرق و قسموا أنفسهم شيعًا ليسوا من الرسل في شيء؛ قال جل وعلى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾



هل الدين مجرد مجموعة من الطقوس والأزياء الاحتفالية؟!

يواجه المجتمع المسلم أزمة حادة، يمكن أن ندرك حدتها من خلال ما يثيره كل إنسان، سواء كان قائدا أو فردا عاديا من عامة الناس من تساؤل: لماذا لا نرى أي بصيص من الضوء في نهاية النفق المظلم، رغم وجود القرآن بيننا؟ لماذا تعيش الأمة التي وكلها الله لقيادة العالم أزمة أيديولوجية عميقة رغم وجود القرآن، وتعاليم العلماء والمفسرين؟ بعد الصدمة النفسية التي أعقبت حوادث النازية المعروفة في معسكرات الاعتقال في "أوشفيتس" برز هذا السؤال بين اليهود أيضا، وهو كيف لله أن يهجر "شعبه المختار" ويتركه وحده ليدافع عن نفسه؟ وسأل العلماء والمثقفون اليهود أنفسهم أنه إذا أُبيدت أمة اليهود من على وجه الأرض، عندئذ ماذا يعني التاريخ بالنسبة لهم، فاليهود الذين اعتادوا لفترة طويلة أن يعيشوا في قلب التاريخ، كان عليهم أن يدركوا حقيقة أن أمتهم قد سقطت من مقعد القيادة والهداية، والفرق الأساسي بين اليهود والمسلمين هو أنه بينما كان إسقاط اليهود قرارًا إلهيًا، فإن سقوط المسلمين هو انحراف تاريخي يمكن أن يُعالج بالعودة إلى الوحي الإلهي الذي جاء به خاتم الأنبياء؛ ومع ذلك، ومن سخرية القدر أنه بدلا من أن تقوم الأمة المسلمة بتقييم وضعها تقييمًا نقديًا، وتحاول أن تضيء طريقها بعون من تعاليم الوحي الإلهي، صارت هذه الأمة سجينة التاريخ، وقد جعل هذا من الصعب على أهلها أن يمسكوا بزمام هذا الزيف التاريخي، وأن يدركوا مدى ما هم فيه من تدهور وتراجع.

إن العالم الآن يمر بأسوأ الأزمات في تاريخه، فهناك تغييرات لا حصر لها – وهي ليست دائما إلى الأفضل – قد حدثت في مختلف بلدان العالم باسم التطور، لقد حاولت القوى ضيقة الأفق بطريقة مجردة من أية مبادئ أخلاقية أن تبسط نفوذها، مما أدى بالتالي إلى غموض مستقبل المجتمع الدولي، وتلوث البيئة، وتراكم ثروة العالم وتكدسها في يد عدد محدود، واحتكار السلع من قبل الشركات متعددة الجنسيات، وكبت الحريات الفكرية من خلال السيطرة على وسائل الإعلام والتلاعب بها، وإجبار الناس على ألا يسمعوا أو يشاهدوا سوى ما تريدهم بعض القوى المهيمنة أن يسمعوا ويشاهدوا، وهذا بعض مما هو واقع في عصرنا مما يصعب التعامل معه؛ فموقف العداء لله عز وجل الذي يتخذه "صُنّاع السياسة" قد حول



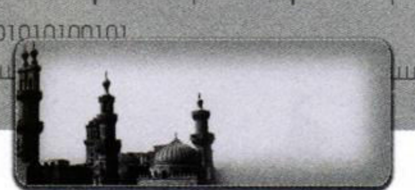
العالم إلى أتون ذري، وأضحت مصادر الثروة الفكرية والاقتصادية الخاصة بالبشرية تستخدم لتدمير الحياة البشرية بدلا من الحفاظ عليها.

وفي ظل هذه الظروف كان من المتوقع من ورثة آخر الرسالات السماوية أن يتقدموا لتوجيه البشرية المضطربة، ومع هذا فإن الحقيقة الواضحة هي أنه بالرغم من أن الله قد اخبرهم أنهم "خير أمة أخرجت للناس"، فإنهم منصرفون في صراع من أجل الوجود، ولا شك في أن الموقف الحالي الذي يسود العالم، يتطلب على وجه السرعة أن يقوم هؤلاء الذين يخشون الله بواجب الإرشاد، فإذا لم تظهر الأمة المسلمة – مثلها مثل بقية الأمم – الشجاعة الكافية لمواجهة هذا التحدي، فكيف لها أن تميز نفسها عن بقية الأمم الأخرى، بصفتها وريث آخر الرسالات الإلهية.

وفي الفترة الأخيرة وبمناسبة انعقاد مؤتمر برلمان أديان العالم، سنحت لي الفرصة أن أسافر إلى أسبانيا وأقيم هناك على قمة جبل "مونتسيرات" في أحد الأديرة النصرانية، وكان يقيم في نفس الدير بعض قادة السيخ الدينيين، وراهب هندوسي من "ماني بور"، وقد لاحظت أن الراهب الذي استيقظ مع بزوغ الفجر، قد انهمك تماما في ضبط هندامه، وزينته بعناية فائقة وتركيز كامل، فهو يضع الصبغة البيضاء على جبهته ويمدها إلى أنفه، حتى بدا للناظر، من خلال وجهه البشري، أنه زعيم ديني بكل تأكيد!

ومن ناحية أخرى كان الزعيم السيخي مشغولا بضبط طول ملابسه، التي أصبحت طويلة إلى حد ما بمساعدة صديق له، وذلك حتى يتمكن من المشاركة في برلمان أديان العالم كزعيم سيخي بحق، يرتدي عمامته الشهيرة المميزة؛ كان هناك عدد كبير جدا من الأزياء الدينية الملونة، الرداء الأسود للرهبان البنديكتيين، وطاقية اليهود، والساري الأبيض الطويل للبراهما كوماري، والجلباب العربي، والطربوش الذي يرتديه بعض علماء المسلمين، وقد أضاف البعض أمام أسمائهم لقبًا تشريفيًا مثل "نيافة"، بينما أصر البعض الآخر على أن يسبق اسمه كلمة "المبجل" أو "الأب"، وإذا كان البعض يصف نفسه بالحاخام فقد وصف البعض الآخر نفسه بلقب "مولانا"، كما أن البعض رأى أنه من المناسب أن يكتب أمام اسمه بعناية فائقة كلمة "الإمام".

في مثل هذا الاجتماع الذي ضم رجال دين مبجلين، كان مثل هذا الإصرار على التفنن في ضبط الثياب وعرضها بهذه الطريقة يترك المرء في حيرة من أمره إن لم يُصب بخيبة أمل، وقد سألت الراهب الهندوسي الذي يجلس بجواري عن سبب هذا الإصرار من جانب رجال الدين في التفنن في ارتداء مثل هذه الأزياء الخاصة، كلٌ حسب جماعته أو طائفته، ونحن هنا في برلمان أديان العالم، لأن هذا يؤكد على الإحساس بالاختلاف بين الأديان؛ وبعد كثير من النقاش والجدل في هذا الأمر، خرج عليّ الراهب بالجواب الصريح قائلا: "إن الناس ينظرون إلينا بوصفنا هداة لهم وقادة لهم، وهم يريدون رؤيتنا في الصورة النموذجية التي يكون عليها الزعيم والمرشد، وهي صورة تختلف بالطبع عما تكون عليه صورة



رجل الشارع العادي. من الواضح أن كل هذا الاهتمام بالزي، هو نتيجة لما يتصوره عامة النـاس عنـا، وإلا فما علاقة الزي بالتقوى والورع؟"

لا شك أن الراهب الهندوسي لا يمكن أو يلام وحده على هذا الأمر مع استمرار هذه الطقوس الخاصة بالأزياء، فجميع الزعماء الدينيين وأئمة الطوائف الدينية قد عانوا كثيرا أثناء ارتداء الأزياء الخاصة بهـم، والتي تميزهم عن عموم الناس، وتظهرهم كرجال دين أو ربانيين من أول نظرة ودون أدنى شـك، أمـا عموم الناس فقد يصعب عليهم أن يقرروا ما إذا كان من يرتدي هذا الزي رجلا مـن لحـم ودم مـثلهم، يتنفس مثلهم من تحت هذه الملابس الثقيلة المهندمة، وما إذا كانت وجهات نظره وأفكاره يمكن أن تخضع للنقد والتدقيق!!

يُقال إنه حين قدم الضابط الروماني لاعتقال المسيح عيسى عليه السلام، كان مـن الـصعب علـيهم التعرف على المسيح لأنه كان يجلس بين أتباعه، وقد اعتمد على إشارة يهوذا الخائن عند قبلة التبجيـل، وقد كان عيسى قبل كل شيء نبيا وجيها مميزا؛ وحتى خلفاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يرغبوا فـي أن يتخذوا أي وسيلة غير طبيعية تميزهم أو تجعلهم يختلفون عن الناس العاديين، وكثيرا ما كان زائـرو المدينة المنورة يعبرون عن دهشتهم من مظهر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهـو يتعامـل معهم مرتديا ملابس عادية لا تميزه عن غيره، ودون أي مظهر من مظاهر القوة، ودون حاشية أو بطانة تحيط به، وكان الرعيل الأول من المسلمين يقدرون حرية الفكر أيما تقدير، فكانوا يعرفون جيدا أن الكـل سواسية أمام الله عز وجل، ومسئولية القيادة أو تقديم الإرشاد للآخرين لا تصل بالقادة إلى منزلة مقدسـة، أو مكانة تعلو فوق مكانة البشر العاديين، والمسلمون أنفسهم يعتبرون أنه من حقهم نقـد أفعـال قـادتهم وأقوالهم، وتدقيق أقوال علمائهم، لدرجة أن امرأة بدوية من عموم الناس تجرأت على أن تختلف في الرأي مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خطبة الجمعة، وبالمثل فـإن القـادة والعلمـاء اعتبروا أنفسهم أناسا عاديين من لحم ودم، مثلهم مثل أي فرد في المجتمع، وأنهم ليسوا أبدا مـن جـنس يفوق البشر، كما أنهم لم يلقبوا أنفسهم بأي لقب، ولم يرغب عامة المسلمين أيضا في أن يروا أناسًا مثلهم، يحيطون أنفسهم بهالة من التبجيل والتقديس، ولأن المسلمون كانوا يقدرون حرية الفكر، فإنهم سعوا إلـى الهداية من خلال ما ورد في كتاب الله، وليس من خلال أقوال قادتهم أو علمائهم، وحين أشـاع العلمـاء والأدباء العرف الذي انتشر فيما بعد، والذي يقضي بتقديم أنفسهم على أنهم قديسون، متميزون عن البشر العاديين، بدأت الألقاب الدينية الفخمة والرنانة توضع قبل الأسماء وبعدها، ودخل الفكر الإسلامي مرحلـة الركود، واللجوء إلى التقليد الأعمى.

إذا لم نستطع اليوم – رغم وجود القرآن الكريم بيننا – رؤية أي بصيص من ضوء الأمل في نهايـة النفق المظلم، فإن هذا مرده إلى الحقيقة المتمثلة في أننا نعطي العلماء والفقهاء تقديرًا وتعظيمًا أكبر ممـا نعطيه للقرآن الكريم الذي أنزله الله على خاتم الأنبياء، وبدلا من أن نقترب مباشرة من القـرآن الكـريم،

ونضيء عقولنا بما فيه، اعتبرنا أنه من الضروري أن نتحقق مما إذا كان اتجاهنا موثق ومدعوم بأقوال العلماء المسلمين الأوائل، أما أولئك الذين كان يجب عليهم أن يدرسوا القرآن الكريم، فقد حولوا أنفسهم؛ عن طريق شعائر وطقوس مختلفة، وعن طريق اكتساب الألقاب الفخمة، إلى مرجعية دينية، فكانت النتيجة المنطقية هي ظهور طبقة كهنوتية بين المسلمين.

ماذا عساه يكون السبب في هذا التشابه المثير بين قادة اليهود الدينيين وأولئك الذين ينتمون إلى أمتنا؟! فقادة اليهود الدينيون يسمون أنفسهم بالحاخامات، للدلالة ضمنا على أنهم يشاركون الله في صفاته، بينما اتخذ القساوسة النصارى لأنفسهم كلمة "الأب" التي لا تناسب إلا الله عز وجل، وبنفس الطريقة اتخذ القادة المسلمين لأنفسهم لقب "مولانا" وهي والكلمة التي استخدمت في القرآن الكريم للإشارة لله عز وجل.

حين تعتاد الأمم رؤية قادتها الدينيين يحيطون أنفسهم بهالة من القدسية، وحين يؤمن عموم الناس بأن بينهم شخصيات تمتلك أفكارًا مقدسة وطاهرة، لا تخضع للنقد أو التصحيح، عندئذ يُكبت صوت الحرية، وفي اللحظات الحرجة تفشل مثل هذه الأمم في أن تجد حلولاً جديدة لمشكلاتها، وتفشل في أن تضيء طريقها بنور الوحي الإلهي، ومن هنا فإن نتيجة كل ما يتخذ من إجراءات باسم الدين، تكون نتيجة عكسية، فالعتاب الشديد الذي يوجهه عيسى في الإنجيل للفريسيين، وهم من موالي اليهود في زمان المسيح، يؤكد وجهة النظر هذه.

إن توكيد القرآن الكريم، في سياق الحديث عن انتشار الدعوة الإسلامية بين الناس، على أنه يقدم لهم النجاة من استبداد الكهنوت وطغيانه، كان يمثل التأكيد على فكرة أن الله تعالى لم يعط حق تفسير الدين إلى طبقة بعينها، وأن دعوة النبي إلى التغيير لم تكن تتحمل أي نوع من التدخل من جانب الحاخامات أو الباباوات أو الموالي.

كيف يمكن للمؤمنين، مع خشيتهم من الله عز وجل وحبهم له، أن يلقبوا أنفسهم بالألقاب التي خص الله بها نفسه، فادعاء المرجعية الدينية الزائفة، يؤدي بالتالي إلى إخماد نور حرية الفكر والتعبير؟!



القضية الفلسطينية: لو علمنا الحقيقة

منذ فترة طويلة، والأرض الفلسطينية تنتظر حلاً عادلاً لقضيتها. فجميع الجهود التـي بـذلها كـلا الجانبين حتى الآن، لم تثمر عن أية نتائج مبشرة؛ وإن أثمرت عن أية نتائج، فإنها يقيناً غير مشجعة، كما أن الخسائر في الأرواح تتصاعد يومًا بعد يوم. فعلى أحد الجانبين نجد دولة إسرائيل المسلحة بأحـدث الأسلحة، بينما على الجانب الآخر نجد فصائل متنافرة لمنظمات المقاومة التي لا حول لهـا ولا قـوة ولا تملك أية أسلحة سوى أرواحهم.

وخلال الخمسين سنة الماضية، تنامت حدة الكراهية بين الجانبين؛ وفي هذا الجو المشحون من الكراهية ضاع صوت الحكمة والعقل في هذا الخضم الهائل من الشعارات المتعصبة. فالوضع الـراهن مـا هـو إلا تكدس جثث الضحايا هنا وهناك من كلا الجانبين؛ والفارق الوحيد هو أن عدد الجثث المتكدسة ربما زاد في أحد الجانبين عن الجانب الآخر. والعجيب أن هذه المعركة تدور رحاها بين شعبين يعتبر كل مـنهم نفسه أكثر المؤمنين إخلاصًا لله عز وجل؛ بل إنهم يبحثون عن شرعية كفاحهم انطلاقاً من إيمانهم برب إبـراهيم وإتباع شرائع أنبيائهم. ولقد أضفت القيادات الدينية والسياسية في كلا الجانبين المتنازعين على الحرب سـمة الصراع بين الخير والشر. فكلاهما لا يقبل التفاوض على شبر واحد مـن الأرض الفلسطينية، أو حتـى الوصول إلى تسوية بشأن ذلك. وفي ظل هذه الظروف، تقول النتائج المنطقية الوحيدة التي يمكننا التوصـل إليها إن الجانب الأقوى هو الذي سيفوز بالمعركة. ومع ذلك، تكمن المشكلة في أنه إذا كانت قوة الدول فـي عالمنا اليوم قد ازدادت بشكل غير طبيعي نتيجة الهيمنة التكنولوجية لهذه الدول، فإنه على الجانـب الآخـر نرى أن أساليب حرب العصابات التي تتبعها المنظمات الإرهابية المتطرفة قد أصبحت سلاحًا فـي أيـدي الضعفاء ممن لا حول لهم ولا قوة، الأمر الذي لا يمكن لأي دولة تجاهله أو القضاء عليه.

فالإسرائيليون يعلمون جيدًا أنه على الرغم من القوة المطلقة لدولتهم، فإنهم لا يستطيعون أبدًا محو كـل الفلسطينيين من على وجه الأرض. كذلك يعلم الفلسطينيون جيدًا إنهم لن يستطيعوا بعملياتهم الاستشهادية أن يوجهوا لدولة إسرائيل ضربة مميتة، ولكن كلاهما ما زال يدور في رحى فكرته التي تسيطر عليـه بـشأن تاريخه المقدس بطريقة يستحيل معها، فيما يبدو، الخروج من هذا المأزق. وقد خارت قوى كلا الجانبين بعد حرب الاستنزاف الطويلة هذه، ولكن أحدًا من الجانبين غير مستعد لقبول هذه الحقيقـة، بـسبب شـعورهم الزائف بالفخر القومي.

وخلال هذا المنعطف التاريخي، الذي ينشغل فيه متبعوا التوراة والمؤمنون بالقرآن في صراع مهلك، ويزعم كل منهما أنه الوريث الشرعي للأرض المقدسة؛ يجب على الذين يتقون الله وتمتلئ قلوبهم بخشيته من كلا الجانبين؛ والذين يَسمون بأنفسهم فوق اعتبارات المصالح الطائفية ضيقة الأفق؛ ولا يسعون إلا لمرضاة الله – سبحانه وتعالى – أن يتقدموا للأمام ويدلوا بإسهاماتهم في ضوء تعاليمهم الدينية وأن يخلقوا فرصًا للحوار بغية وضع حد لتلك الحلقة المفرغة من العنف والخسائر البشرية التي لا نهاية لها.

ومنذ أن ظهرت دولة إسرائيل للوجود، اعتبر عدد من علماء اليهود أن قيام هذه الدولة يعارض ما جاءت به التوراة، وحجتهم أنه ليس هناك مبرر لقيام دولة لبني إسرائيل قبل مجيء المسيح. كما أعلن عدد ليس بقليل من المفكرين اليهود الشجعان إن دولة إسرائيل معادية للسامية في توجهاتها لأنها دولة يتم فيها الاستهزاء بتعاليم التوراة علنا. بل إن النقد والمعارضة اللتان قادهما العلماء اليهود أنفسهم ضد الحكومة الإسرائيلية فيما يتعلق باضطهاد الفلسطينيين ربما كانتا أشد وطأة من أية معارضة أو نقد خارجي. ولو قرأت كتابات هؤلاء العلماء اليهود الذين يخشون الله ثم ألقيت نظرة على الحركات المناهضة للاضطهاد الإسرائيلي للفلسطينيين داخل إسرائيل نفسها؛ سوف يتضح لك إن هناك عددًا ليس بالقليل من النفوس التقية بين اليهود والذين نجد أن الله قد أثني عليهم في قرآنه. وأشد ما نحتاج إليه من جانب المسلمين ليس مجرد نزعات قومية متشددة، بل إلى مبادرة قوية ترتكز على تعاليم القرآن التي يمكن أن تقودنا إلى حل قرآني.

ولا شك في أن قضيتنا قوية وعادلة من وجهة النظر القومية؛ فنحن من قامت على أراضيهم دولة زائفة فرضتها قوة وحشية، وأعلنت علينا حرب متواصلة بلا هوادة. وإذا ما اعتقدنا أنه لا يوجد حل سلمي آخر للمشكلة الفلسطينية غير طرد قوات الاحتلال الإسرائيلي واستئصال شأفة إسرائيل، فإنه لا أحد يمكنه أن يتهمنا بالتحيز لاتخاذ مثل هذا الموقف. ومع ذلك فإذا اعتبرنا أن هذه هي كلمتنا الأخيرة في هذه القضية، فذلك يعني إعاقة أية إمكانية للحوار مع الطرف الخصم؛ وعندئذ، ومن أجل إنهاء هذه المشكلة، لن يكون لدينا سوى التصريحات المتوعدة التي كنا ولا زلنا نسمعها في الخمسين سنة الأخيرة، والتي رغم التزامنا بها لم نستطع أن نقترب من حل المشكلة ولو قيد أنملة. وفي محاولاتنا المستمرة لحل المشكلة، اعتدنا معالجة هذه القضية الإنسانية الحساسة بطريقة شاعرية، وأحيانا كثيرة ما يسمع المرء تصريحات مثل "لو أن كل مسلم من مسلمي العالم أفرغ دلوا من الماء على إسرائيل لمحيت من الوجود" أو مثل "لو أن كل مسلمي العلم بصقوا على إسرائيل، لغرقت إسرائيل بأكملها". مثل هذه التعبيرات الانفعالية تجعل الدم يتدفق في عروقنا بصورة مؤقتة، لكن جدواها العملية غير واضحة المعالم حتى بالنسبة لمن يصدر عنهم مثل هذه التصريحات.



وعلى أحد الجانبين، نجد حكومة شارون المستبدة القاسية التي تجاوزت جميع الأرقام القياسية في الوحشية والقمع الإنساني، فكل مؤسسات الدولة غارقة في الفساد، كما أن سجل أريل شارون وأفراد أسرته لا يخلو مما يشينه خاصة عندما يتعلق الأمر بالموارد المالية العامة للدولة. وعلى الجانب الآخر نجد عرفات ورفاقه الذين بددوا الأموال التي يتلقونها كمساعدات من الدول المختلفة باسم الشعب الفلسطيني التعس. فلا حكام إسرائيل يضعون نصب أعينهم عقيدتهم اليهودية؛ ولا السلطة الفلسطينية تسعى إلى إرساء دعائم حكم إسلامي صحيح قائم على القرآن في فلسطين؛ بيد أن الذين يقدمون أرواحهم من كلا الجانبين بنفس راضية؛ يدفعهم إلى ذلك وازع من مشاعرهم الدينية الخالصة ويؤمنون بكل إخلاص بأن استشهادهم وتقديم أرواحهم هو واجب ديني. وسؤالنا هنا: هل هناك ما يبرر التضحية بالكثير من الأرواح من أجل أن يستمر حكم شارون أو عرفات أو من أجل إنشاء دولتين في المستقبل؛ كلاهما سيكون ضد التوراة وضد القرآن؟!

إذا كانت الحكومة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية، بالرغم من استخدامهما لتعبيرات غير دينية أو حتى تعبيرات تصطدم بالدين، قادرتين على تجنيد دعم الطوائف الدينية المتطرفة؛ فذلك سببه أن القيادة الدينية في كلا الجانبين قد وقعت بصفة عامة في مصيدة التاريخ باسم الدين؛ وهو مفهوم تاريخي كساها بهالة من التقديس، بسبب تمجيدنا للماضي، وليس له علاقة بالأهداف الحقيقية للعقيدة. وما نحتاج إليه حاجة ماسة في الوقت الحالي، هو أن لا ننظر إلى القضية من منظور المجتمع الإسلامي فقط؛ بل أن نحاول أن ننظر إليها – بعقل متفتح – من منظور الطرف الآخر أيضًا، ثم نحاول أن نجد حلاً عمليًا لهذه القضية شديدة التعقيد في ضوء وجهة النظر القرآنية. ويقول اليهود أنه بمجرد أن يسير المرء مسافة أربعة أقدام مربعة في الأرض المقدسة فلسطين، فإنه بذلك يضمن دخول الجنة. وهم لا يستطيعون أن يقدموا دليلاً واحدًا من التوراة من أجل إثبات هذا الاعتقاد الخرافي. وبالطبع فإن التلمود يعج بمثل هذه الأنباء الطيبة. بل إنهم يقولون إن حياتهم الدينية لا تكتمل دون وجود بيت العبادة الخاص بهم (في فلسطين).

وباستثناء مذبح الأضاحي في هيكل سليمان لا يوجد لدى اليهود أي مفهوم للتضحية في أي مكان آخر. واليهود المتدينون الذين قامت السلطة السياسية باستغلالهم، والذين كانوا يصلون لأزمنة طويلة من أجل عودة أرض كنعان، يشعرون أنهم بعد شتات دام ما يقارب الألفي عام قد غدوا مسلحين بقوة الكافية لتمكنهم من استعادة الحياة الدينية لهيكل سليمان مرة أخرى. لذلك فإنهم لا يريدون أن تفوتهم هذه الفرصة التاريخية. وعلى الجانب الآخر، فإن القمع والوحشية التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين؛ وطردهم من أراضيهم هي حقائق ماثلة من التاريخ المعاصر لا يمكن لأحد أن يتجاهلها.

علاوةً على ذلك؛ فإن المكانة الراسخة للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة في وجدان المسلمين لكونهما يمثلان القبلة الأولى للمسلمين قد جعلت هذا الجزء من أرض فلسطين مكانًا مقدسًا بالنسبة للمسلمين كما هو مقدس بالنسبة لليهود. ولذلك فإن أية تسوية بشأن هذه الأرض المقدسة يراها كل من الطرفين على أنها بيع للقضية التي يدافع عنها. وإن اغتيال أنور السادات وإسحاق رابيين على يد مواطنيهم يبرز لنا قوة هذا الشعور في كلا الجانبين. وهذا جانب واحد من جوانب المشكلة نراه قد لعب دورًا رئيسًا في جعل المواجهات شديدة الدموية والقسوة.

وفي فترة حاسمة عندما تصل حدة العاطفة إلى ذروتها في كلا الجانبين، ويبدو أنه لا إمكانية لحدوث حل عادل وشامل للمشكلة، حيث يجد أتباع إبراهيم ومن هم من نسل إسماعيل وإسحاق أنفسهم في معركة مميتة بشعة تدور رحاها من أجل الاستيلاء على نفس مكان العبادة؛ وعندما ينسى الداعون إلى توحيد الله أن الله يريد منهم الاستسلام المطلق له وليس صلاتهم في مسجد خاص أو نوع معين من بيوت العبادة، لذا فإنه يتحتم علينا نحن المسلمين أن نتقدم للأمام بصفتنا حاملين للقرآن وأن نذكر الناس بالحقيقة الغائبة وهي أن الله لا يريد اليهودية ولا المسيحية ولا الإسلام التقليدي؛ ولا أي نوع من المسميات الأخرى؛ ولا يريد العبادة الطائفية التي يؤدونها في هذه الأماكن. فالله تعالى يعتبر قولهم:

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ... ﴾

نوعًا من التوبيخ ويدعوا الناس أن يكونوا من اتباع ملة إبراهيم (ملة إبراهيم حنيفًا) عليه السلام. ونحن اليوم في أمس الحاجة لأن يقوم أصحاب النفوس التقية الورعة من أتباع إبراهيم عليه السلام بالتحرك ومحاولة انتشال فلسطين من مستنقعها الحالي من أجل نيل رضا الله؛ ولا يأبه أحد من هؤلاء بردود الفعل الغاضبة على قيامهم بذلك من قبل مجتمعاتهم وما إذا كان موقفهم هذا سيؤثر سلبًا على مصالحهم الوطنية. وفي الماضي، عندما نصح عضو الكنيست إفراهام بيرج إسرائيل بالتعامل مع القضية الفلسطينية بصورة واقعية، ثار عليه العالم الصهيوني واعتبروه عدوًا لليهود. ويوجد الكثير من أمثال أفراهام بيرج بين الإسرائيليين. إن المشكلة هي أننا من أجل فهم المجتمع الإسرائيلي نقوم بالاعتماد على الكتيب المشهور لسيد قطب بعنوان "معركتنا مع اليهود" بدلاً من الاعتماد على ما يحتويه القرآن الكريم من إرشادات وأنوار، هذا الكتيب الذي يعتبر أن جميع اليهود دون استثناء هم شخصيات غامضة تُألف عصبة من الشياطين. ولطالما كنا سجناءً للشروح التي فسرت الآية الكريمة:

﴿ ... غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة 7)

بأن المقصود بها هم اليهود والنصارى دون تمييز. ونحن في عدائنا المستفحل؛ لا نفكر في الحقيقة التي تقول إن القرآن، وهو كلام الله أعدل العادلين، لا يمكن أن يحضنا على لعن جميع الأجيال القادمة من اليهود، لا لسبب إلا أن ثلة من الأفراد والقبائل اليهودية كانوا قد أساءوا للرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين في ذلك الوقت. وفي القرآن نجد أن الله تعالى قد لعن أيضًا بعضًا من أفراد قبيلة قريش، وحذرهم من العواقب الوخيمة لأفعالهم في الدنيا والآخرة، إلا أنه لم يجول بخاطرنا أنه يجب أن نعاقب ونلعن نسلهم إلى يوم الدين. لذلك فنحن لا نجد سببًا حقيقيًا للوم الأجيال الجديدة من اليهود ولعنهم بسبب إساءة تصرف بعض أفراد جيل واحد منهم. وهناك موقف مشابه لذلك الفكر في التفكير الديني للإسرائيليين فقد انتهوا، متأثرين بتفسيرات التلمود، إلى أنه لا يوجد شعب يمكن أن يصل إلى منزلة الشعب اليهودي القديم وأن شعبهم هو شعب الله المختار؛ ويزعمون أن الأمم الأخرى دماؤها رخيصة وثقافاتها عديمة القيمة. ونحن في حاجة ماسة في وقتنا الحالي إلى أن نهجر جميع الأراء التقليدية التي اعتدنا عليها عند التفكير في حل مشكلة فلسطين وأن ننظر إليها بمفهوم جديد في ضوء المعاني العميقة للقرآن الكريم، وعندئذ سيتسنى لنا إنقاذ الأرواح التي نفقدها كل يوم، كما ستكون الأرض فلسطين التاريخية مكانًا يتمكن فيه أهل الكتاب بجميع مللهم أن يؤدوا صلاتهم كما كانوا يفعلون في الماضي. وهنا يثار سؤال! أين تلك الأنفس التقية والقابضة على دينها من أهل الكتاب الذين قال عنهم القرآن:

﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

والذين وعدهم القرآن من أهل الكتاب أيضًا أن الله لن يضيع أعاملهم؟

﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (آل عمران 115)

ومع كل ذلك، يجب أن نبحث عن هؤلاء الذين يخشون الله تعالى من بيننا، هؤلاء الذين يمكنهم أن يظهروا شجاعة غير عادية في السمو عن المصالح القومية الضيقة، من أجل هدف أسمى، لتأكيد قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾

(آل عمران 64).



المسلمون في جميع أنحاء العالم يتساءلون في يأس متى يأتي نصر الله؟

بالرغم من تراجع المجتمع الإسلامي عن المكانة السيادية التي كان يتبوؤها، فإنه مازال يعتبر نفسه أفضل المجتمعات على الإطلاق؛ فمازال أفراد المجتمع الإسلامي يتصرفون بطريقة تنم عن رضاهم عن أنفسهم فيما يتعلق بإدارة شئونهم وهم منغمسون في أحلام اليقظة. وعلى المستوى الوجداني، مازال المجتمع يجد صعوبة في تقبل حقيقة أنه لم يعد المجتمع الذي وعده الله بالنصر من خلال ملائكة السماء في أوقات المحن. فالأناشيد العذبة التي تمجد سيرة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) والأعداد الهائلة لحشود المحتفلين بالمولد النبوي من كل عام وجموع المصلين لإداء صلاة الجماعة قد تعيد الاطمئنان إلى قلوبنا بأننا حقا الأتباع المخلصين للدين الحنيف ولكن تبقى الحقيقة واضحة أمامنا بأننا لم نعد الأمة التي وصفها القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس. وقد أخذت الكارثة أبعادًا خطيرة.

لقد مرت قرون طويلة منذ أن كنا نتبوأ المكانة السيادية، وكنا نتصف بأننا خير أمة أخرجت للناس. وبوصفنا أتباع النبي الخاتم فقد أنعم الله علينا بوعده لنا بقيادة العالم حتى يوم القيامة، وتبوءنا هذه المكانة السيادية من خلال كلام الوحي المنزل على النبي محمد من السماء. وحينما كان الوحي الإلهي هو النور الذي أضاء الطريق أمامنا استطعنا إحكام قبضتنا على مجريات التاريخ. فقد كانت مجريات الأحداث في العالم تسير طبقا لتوجهنا وأحيانا، وفي اللحظات الصعبة، عندما كنا نشعر بأن قبضتنا بدأت تتراخي نجد أن أنظارنا تبدأ تلقائيًا تتطلع إلى السماء، نسأل الله أن ينصرنا واثقين من أن نصر الله قادم في الوقت المناسب، ففي غزوة بدر كان النبي يقود بنفسه عدد قليل من المجاهدين ضد جحافل الأعداء وقد سأل الله أن ينصره.

وأثناء الغزوات التالية من التاريخ الإسلامي سواءً تلك التي أسفرت عن هزيمة ملوك الفرس أو الروم أو بعد ذلك حادثة حرق السفن على الساحل الأندلسي كان المسلمون دائمًا يشعرون بوجود الله الحي القيوم الذي يقف ورائهم يشد من عضدهم. وقد كان هذا الشعور هو الباعث الذي طالما يحركهم لاقتحام أصعب المخاطر في سبيل نصرة الدين. وعندما وقع هرمزان – قائد الفرس الشهير – في الأسر ومَثّل أمام الخليفة عمر بن الخطاب اعترف بهذه الحقيقة قائلا: "يا عمر، كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن الله معنا ولا معكم! فلما كان الله معكم غلبتمونا؟" لاشك أننا ننتمي إلى نفس الأمة التي هزمت أعظم الجيوش بفضل قوة إيماننا بنصر الله لنا. ولكن ما الذي حدث بعد كل ذلك، فقد أصبحنا الآن – ومنذ عدة



قرون – بعيدين عن نعمة الله هذه. وهناك عدد ليس بالقليل من أبناء هذه الأمة – حتى في هذه الأيام – على استعداد لمواجهة الموت في سبيل الله. وقد تشكلت في أماكن متفرقة من العالم جماعات عدة منها: حزب الله و جند الله و الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية و مجاهدين الإسلام وسيباه صحابة وغيرها من الجماعات الإسلامية. و أتباع مثل هذه الجماعات مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيل نصرة الإسلام. فلا تخلو أية بقعة من بقاع الأرض من أتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين كتبوا تاريخ الإسلام العظيم بدمائهم الزكية.

ومع ذلك، يبدو أنه قد قدر لنا أن نتجرع مرارة الهزيمة في جميع ضراعتنا الصغرى والكبرى وكذلك في تحديات العالم المعاصر. فالله تعالى، القادر على تغيير مجريات الأمور في لمح البصر، لم يأتي لخلاص المسلمين. لذلك نجد مظاهر الحزن واضحة في المجتمع الإسلامي بشكل أكثر من أي مجتمع أخر حيث يستطيع المرء أن يسمع صرخات يائسة تتردد في جميع جنبات المجتمع المسلم. وذلك مرده أن المجتمع الإسلامي كان ولا زال يعاني من أهوال القتل والإبادة منذ قرون طويلة وحتى الآن فكل لحظة تحمل عذابات جديدة وكل يوم يشكل تحديًا جديدا عليه مواجهته. فلمن يلجأ الناس في لحظات الأزمات الحالكة هذه؟ أصبحت المساجد الآن مكتظة بحشود المصلين أكثر من ذي قبل. فقد نجحت حركات الإصلاح و الإحياء في خلق مناخ مثالي مناسب لإقامة الصلاة و الصوم وقيام الليل والابتهالات و التأمل والتدبر وغيرها من أشكال العبادات الأخرى. وهناك عدد وافر من المسلمين الذين يؤدون النوافل ويقرؤون آيات الذكر الحكيم. وبالرغم من ذلك وبالرغم من الاضطراب الواضح الذي أصاب المسلمين وقلة حيلتهم فما هو السبب وراء حرمان المسلمين من عناية الله العلي العظيم؟

ويثير مثل هذا التساؤل اهتمام كلاً من الخاصة والعامة من بيننا؛ بل يبدو أنه قد حير أفضل العقول المثقفة من بيننا أيضًا. فمنذ أكثر من عامين، وأثناء هجوم الولايات المتحدة الأمريكية على أفغانستان نتيجة لرفض الشعب الأفغاني الوصول لتسوية على حساب احترامه لذاته، كان عليهم مجابهة وحشية الجيش الأمريكي؛ حيث أمطرت المقاتلات النفاثة "بي-52" الشعب بوابل من القذائف التي حصدت الأرواح. فلم يكن هناك أي مسلم في أية بقعة على وجه الأرض إلا وقد دعا الله باكيًا في صلاته خلال تلك الأسابيع. وكان العالم الإسلامي أجمع – من شرقه إلى غربه بما في ذلك الشيعة والسنة – قد رفع أكف الضراعة إلى الله قائلاً " اللهم خلص هذه الجماعة التي لا حول لها ولا قوة."

كانت الابتهالات في الصلاة تتردد في جنبات المساجد بشكل كبير لدرجة أن المسلمين الذين لم يكونوا من رواد المساجد من قبل اعتادوا ارتياد المساجد منذ ذلك الحين متوجهين بالدعاء إلى الله سائلين منه العون مع إخوانهم من المصلين. وقد أظهر الأفغان شجاعة نادرة، فالموت الذي كان يهبط عليهم من السماء لم يستطع أن يوهن من عزيمتهم. في هذه اللحظة كان العالم كله يقف في انتظار حدوث معجزة.



ومضت الأيام والأسابيع ولم تلوح في الأفق أية بادرة للمعجزة المنتظرة. على النقيض من ذلك، فقد أخذت معالم هزيمة الشعب الأفغاني تتضح يوما بعد يوم. وقد أدى ما حدث للشعب الأفغاني إلى زعزعة ثقة الأمة الإسلامية كافة؛ فالله تعالى لم يمد إليهم يد العون. وخيم اليأس بظلاله على الأمة بأسرها. وقد كان ذلك هو الحدث الثاني في التاريخ الإسلامي – بعد الاستيلاء على بغداد في عام 1258 – والذي أصاب وجدان المسلمين بكارثة. وبدا أن هذه الأمة لن تشهد بزوغ أي فجر جديد.

ودائما ما نعلن كمجتمع إسلامي – وفي أحلك لحظات الأزمات – إن النصر سيكون حليفنا وأن الله سوف يرزقنا بنصر من عنده وفتح قريب. وقد بذلنا أقصى ما في وسعنا لمواجهة العدو ومحاولة تغير قدرنا المحتوم. ومع ذلك فمازلنا بعيدين عن نصر الله. ومنذ عدة شهور مضت عندما هبت عاصفة رملية على الدبابات الأمريكية أثناء مسيرتها نحو العراق غمرت البهجة أرجاء المجتمع الإسلامي؛ حيث تراءى لهم أن نصر الله قد وصل أخيراً. ولكن سرعان ما تبدد هذا الشعور بالرضا. فسقوط بغداد مرة ثانية قد أكد حقيقة أن الله لم يعد يؤيدنا بنصره، ومادام المجتمع لم يعد يتمتع برضا الله وتأييده فلن يستطيع أحد أن ينقذنا من هذه الهزيمة وهذا الخزي. ومنذ قرون مضت وحتى الآن ونحن نواجهه الهزائم كل يوم؛ ويبدو كما لو كان شيء ينكسر بداخلنا كل لحظة. ونحن لا نملك سوى أن نناضل جميعنا؛ وحتى بعد ذلك نتساءل متى يأتي النصر من عند الله؟

لم يعبأ المفسرين والفقهاء، على ما يبدو، في عالمنا اليوم بتحليل هذا الموقف للوصول إلى إجابات مقبولة. بل على العكس، ركزوا مزيدًا من اهتمامهم على محاولاتهم لطمأنتنا من خلال تفسيراتهم المغلوطة لآيات القرآن الكريم. ومن وجهة نظرهم، فكل هذه الابتلاءات تهدف في واقع الأمر إلى اختبار قوة إيماننا؛ حيث يفهمون الآية القرآنية:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾
(ألبقرة 214)

على أنها تشير إلى أن الدنيا بالنسبة لهم ما هي إلا دار ابتلاء للمسلمين حيث يجب عليهم أن يستعدوا لما سيصيبهم من محن وابتلاءات.

فالحياة الدنيا بالنسبة للمشركين ما هي إلا دار لعب ولهو؛ ولأن المسلمين قد وُعدو بحياة كريمة في الآخرة ، لذلك عليهم أن يصبروا و يثابروا في مواجهة مثل هذه الابتلاءات في الحياة الدنيا. ولعدم وجود مفر من الخروج من مثل هذا الموقف المخزي قامت بعض الجماعات برفع شعار الزهد في الحياة الدنيا



باعتباره الاتجاه الديني الذي يجب أن يسلكه جميع المسلمين. ولكن تكمن المشكلة في أن الزهد لم يعد ممكنا في ظل العالم الذي نعيشه اليوم. فعندما يتعرض وجودنا للفناء البطيء، كم فرد منا يستطيع أن يطرح التفكير في هذا الموضوع جانبًا غير مبال بالكارثة الوشيكة، وإلى متى يستطيع ذلك؟

مثل هذه الحياة المخزية والأسى الذي تسببه الإخفاقات المتلاحقة لا يتفقان مع تاريخنا الماضي، حيث كان المسلمون الأوائل مضرب الأمثال في التقوى و العظمة. ونحن بحاجة إلى أن نقتدي بهم في حياتنا العملية. ومن يكون أفضل إسلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته؟ لا ريب في أنهم قد واجهوا تحديات عظيمة ولكنهم لم يضطروا إلى أن يحيوا حياة الخزي أو يعانوا من ألام الهزائم المتلاحقة. و إذا ما تصفحنا تاريخنا سوف نجد أن الله عز وجل قد وعد المؤمنين بالزعامة و السيادة في الحياة الدنيا، ناهيك عما أعده الله لهم في الحياة الآخرة. وكل صفحة من صفحات المصحف الشريف تشهد على هذه الحقيقة، فقد أنعم الله على المؤمنين بقيادة العالم، علاوة على أنه يحمل لهم البشرى بالثواب في الدار الآخرة. والروايات والقصص المنقولة عن ملك سيدنا داود وسيدنا سليمان التي تتناول المكانة المميزة التي احتلها بني إسرائيل بين جميع الأقوام في العالم تلقي الضوء على حقيقة مفادها إننا بانحيازنا إلى جانب الله نستطيع أن نحقق نصرا على العالم كله. لقد حدث ذلك في الماضي وأخبرنا به القرآن.

إذن ما هو السبب الذي من أجله لم تتحقق البشرى التي وعدنا بها الله في قوله:

﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ ﴾

على مدى قرون عديدة وفي جميع الأزمات التي مرت بها الأمة. وبما أننا محرمون من عون الله لا تؤدي بنا جميع الجهود التي نبذلها إلا إلى استخلاص دروس تفيدنا في المستقبل .

وأحداث العالم المعاصر أثبتت أننا لم نعد الأمة التي يمكنها أن تتأكد من نصر الله لها وتنظر إليه باعتباره حليفها ومساندها. وخلال عصور الاضمحلال المستمر قام شاعر ينتمي إلينا بنظم آلف قصيدة شكوى قام فيها بمناجاة الله شاكيًا من حجب نعمه. ولاشك في أن هذه الشكوى الشعرية تحمل في طياتها الحقيقة الظاهرة لحياتنا اليومية

"لقد أغدقت نعمك على ديار الكافرين والدخلاء

ولم ينزل غضبك كالبرق إلا على المسلمين المساكين"

ومع ذلك، ومن أجل معالجة مثل هذا الموقف، بحث الشاعر عن إجابات كانت تقليدية كغيرها من الإجابات التي قدمها علمائنا وأسلافنا ولكن في أشكال مختلفة. من الذي يستطيع أن ينكر أن هذه المواقف ما هي إلا صحوة جديدة والتماس فضل من الله وتوجه إليه تعالى؟

مع ذلك، وبالرغم من وجود مثل هذه الإجابات الواضحة يرجع فشل مجتمعنا في الفوز بنصر الله أساسًا إلى حقيقة أننا نفسر "التوجه إلى الله" باعتباره حفاظ على أداء بعض الشعائر بطريقة آلية. وهذا هو سبب الذي جعل جميع جهودنا في التوجه إلى الله لا تجعلنا نستحق نصرته. و يظل الوعد القرآني بالنصر

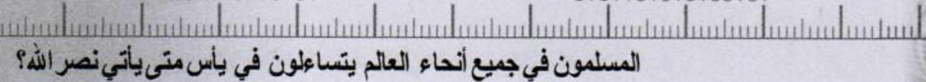


بعيدا عنا كل البعد. وهنا يطرح السؤال نفسه في عقول أصحاب النفوس التي لا تهدأ عن حقيقة وجود الله من عدمه. أين هو الله الذي طالما وعد المؤمنين بنصره؟

طالما أن مجريات الأمور قد أوضحت لنا أن الله قد تخلى عنا، يصبح لزامًا علينا ونحن نحيا بقوة الآمل في عون الله أن نبحث عن إجابة لسؤالين على جانب كبير من الأهمية: أولاً ما هو السبب وراء حدوث ذلك، ثانيًا ماذا ينبغي علينا أن نفعل لنستحق نصرة الله من جديد. بمعنى أخر، يجب علينا كوحدة مجتمعية أن نقوم بإعادة تقييم وجودنا الجمعي. وبما أننا لسنا مستعدين لاستكشاف حاضرنا فلن يمكننا إيجاد أية حلول للمستقبل.

أولا، يجب علينا أن نستوعب وبشكل واضح أنه بالرغم من شدة رغبتنا في خلق علاقة بيننا وبين صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تظل هناك حقيقة مؤكدة هي أن تلك العلاقة شديدة الوهن على المستوى الفكري والعملي. فالإسلام الذي كان يدعو النبي إليه ويطبقه يختلف عن الإسلام الذي نشهده اليوم. فقد كانت حياته مضيئة بنور القرآن الكريم. فعند بناء حياتنا الدينية بدأنا نعتمد على كتب كثيرة قمنا بتأليفها بأنفسنا، بدلاً من الاعتماد على القرآن الكريم.وقد أسلم صحابة النبي أنفسهم لله بشكل مطلق فذاقوا حلاوة الإيمان؛ ولكننا وقعنا في شرك أداء شعائر جامدة. فهم حقا عباد الله الأخيار الذين منحهم الله بالسيطرة الكاملة على مجرى التاريخ. ونحن لا نملك اليوم سوى بعض الأوهام عن كوننا أفضل مجتمع مرددين الاعتقادات الخاطئة عن أفضليتنا عن غيرنا من الشعوب الأخرى وأصبحنا نعيش أسرى أمجاد الماضي. وموقفنا الآن لا يختلف كثيراً عن موقف بني إسرائيل الذين مازالوا – رغم حرمانهم من مكانتهم المميزة – يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار. وبالنسبة لهم فإن كلمة التقوى تعني مجرد التمسك بالشعائر الدينية. ولأن الشعائر الجامدة لا يمكن أن تنتج شعورًا حقيقيًا بالتقوى، فهذا هو السبب الذي جعل عودتنا المزعومة للدين لا تنتج الثمار المرجوة. وما أكثر المسلمين شديدي الالتزام والتمسك بكل تعاليم الإسلام!. وبعد انتهاء النزعة الاستعمارية، عادت المساجد تزدحم بالمصلين مرة أخرى، ويزداد عدد معاهد التعليم الديني يوميًا، والعودة إلى جذور الدين أصبحت سمة جلية بين الشباب المسلم في كل أنحاء العالم. على الرغم من ذلك، فإن كل هذه المظاهر الخارجية التي تدل على الرجوع إلى الدين لم تجعل منا أناس يستحقون نصر الله. وإذا كنا لا نستحق نصر الله، فإن هذا يطرح سؤالاً ألا وهو هل يريد الله حقًا هذا النوع من العبادة الذي نراه نحن تعبيرًا حقيقيًا عن تقوانا؟

لتقدير حالتنا المتدنية من الألم والمعاناة تقديرًا أفضل، وذلك مع عدم وجود نصر من الله، فسوف يكون من المفيد أن نذكّر أنفسنا ببني إسرائيل. وهذا ملائم هنا أيضًا، وذلك نظرًا لأن القرآن يحذرنا من خلال إشاراته المتكررة لبني إسرائيل من التقيد بشعائر جامدة لا روح فيها. لقد اشتهر بنو إسرائيل، الذين ننظر إليهم على أنهم شعب معلون وحقير، بالمبالغة في إظهار تدينهم، واعتبروا أنه من الضروري استشارة الحاخامات ورجال الدين بشأن أدق التفاصيل عن أية موضوع. ولنأخذ على سبيل المثال تفاصيل يوم كيبور أو يوم السبت أو الطريقة الصحيحة لذبح الحيوانات (قتل الكوشير)، وبالنظر إلى الطريقة





شديدة التأنق التي يتبعها بنو إسرائيل المتدينين للالتزام بأدق تفاصيل شعائر التلمود، يبدو لأي فرد أنه نادرًا ما يوجد شعب آخر في العالم قد تمسك بالدين على هذا النحو المثالي. فما زال بنو إسرائيل يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن لهم الأفضلية على كل شعوب العالم الأخرى في الفوز بحظوة الله، ويعزون ذلك إلى تمسكهم بالتوراة، والتي بسببها احتلوا هذه المكانة المتميزة. وهذا هو السبب الذي جعلهم يؤمنون بأن نصر الله لهم على الدوام شيء مسلم به. وعندما أصبح اليهود في عهد النازية الألمانية هدفًا للكره العام، ووجد شعب الله المختار – كما أطلقوا على أنفسهم – أن الأرض قد أصبحت جحيمًا بالنسبة لهم، تعجب العلماء والمفكرون منهم؛ كيف يمكن أن يرى الله شعبه المختار يواجه هذه الإبادة البطيئة؟ وقال البعض أن التوراة تحتوي على طاقات هائلة كامنة وغير ظاهرة، فيمكن أن يتغير حال هذا الشعب إذا رتلت ترانيم معينة مرات ومرات. ولجأ البعض إلى مخطوطات الشعوذة والتنجيم، بينما أعاد البعض تشكيل علاقاتهم مع مؤلفات الربانيين وأخذ البعض الآخر بزمام المبادرة في تنظيم الترتيل والتأمل الجماعي. ولما ازداد الأمر سوءًا في ألمانيا والأماكن الأخرى بالنسبة لليهود، فقد ازداد رجوعهم إلى الدين وتمسكهم به، لدرجة أنه وجد البعض في معسكرات الاعتقال والموت منهمكين في ترتيل الترانيم الدينية أو التمتمة بالتعويذات في همس. وكان تدينهم الشديد جليًا في الحقيقة المتمثلة في أنه على الرغم من عدم توافر أدنى حد ممكن من الطعام الذي يسد رمقهم أو الملابس التي تستر عوراتهم في هذه المعسكرات، كانوا يشعرون بحاجة شديدة إلى كتب الصلوات (السيدور) التي التزموا بها سواءٌ بشكل فردي أو جماعي، والتي كانوا يحصلون عليها بعد دفع الرشاوى لمسؤولي السجن. وأثناء عمليات التفتيش، كان تصادر هذه الكتب وتُلقى في النيران أمامهم، وكان المتدينون من بني إسرائيل يصرخون ويتسائلون عما إذا كان هذا العالم سوف يفنى في غياب هذه الكتب الدينية. واعتقد بعض النساك اليهود أنه إذا قُرأت أجزاءٌ معينةٌ من التوراة بشكل متكرر مع استيعابها ثم طُلب من الله العون، فإن العون سوف يأتي قطعًا. ويقال أنه في أحد معسكرات الاعتقالات، لجأ أحد هؤلاء النساك إلى حفرة كان يتم إلقاء الموتى فيها، وظل هذا الناسك منهمكًا في الصلاة والتأمل، وبدأ الناس يطلقون على هذه الحفرة اسم "بيت ميدراش"، إلا أن الله لم يأتي لنجدته على الرغم من كل هذه التقوى والتوبة الصارمة.

هل يوجد دليل آخر على تدين بني إسرائيل أكبر من ثباتهم على ممارسة شعائرهم الدينية حتى في أصعب الأوقات. وإذا ما نجحوا بطريقة ما في العثور على ملابس دينية (مثل التفلون أو التيليت) فإن ذلك كفيل بأن يشعرهم بالفرح والنشوة الشديدة في حياة مظلمة لا تعرف سوى الحزن. وكانوا يرتدون التفلون ويؤدون الصلوات واحدًا بعد الآخر. وكان كثيرًا ما يحدث أنه حتى أثناء الانتقال من معسكر إلى آخر فإنهم يحافظون على دروس التلمود، إذا كان بينهم عالم من علماء الفقه ألتلمودي. وعندما يرتاحون من جولات مسئولي السجن في معسكرات الاعتقال، كانوا يجتمعون للاستماع إلى التوراة و"المشناة" يرتلها عليهم من يحفظونها عن ظهر قلب. ويقال أنه في معسكر "مادانك" حيث كان يوجد ثلاثة آلاف يهودي، لم يكن هناك أحد يتغيب عن الاشتراك في الصلوات الجماعية اليومية. وفي أحد الأيام رأوا صفحة من التلمود على كومة



من القمامة، فشعروا بفرحة غامرة. واعتاد الحاخام "إسحاق زانبا" في هذا المعسكر أن يعقد جلسات منتظمة يبني فيها حديثه على هذه الصفحة المأخوذة من التلمود. وعلى الرغم من مصادرة كتبهم الدينية في المعسكرات، إلا أن ارتباطهم بدينهم كان عميقًا جدًا لدرجة أنهم كانوا يغلفون أغراضهم في صفحات التلمود. ويمكن قياس مدى إيمانهم بأنه على الرغم من أنهم كانوا يتوقون إلى لقيمات من الطعام فإنهم كانوا يقايضون بها مسئولي السجن أو يعطونهم أسنانهم الذهبية بفرح شديد في مقابل الحصول على نسخة من التوراة أو نسخة من كتاب الصلوات أو نسخة خاصة من كتاب السيدور. وعلى الرغم من هذا التدين العميق، فلم تكن صرخاتهم من أجل الفوز بنصر الله سوى صرخات تذهب أدراج الرياح. ولم يفلح شعب الله المختار على حد زعمهم في جذب انتباه الله عن طريق إظهارهم لتدينهم بكل ما أوتوا من قوة.

وقد زعزع ما حدث في معسكرات الاعتقال في أماكن مختلفة من ألمانيا وخاصة في أوشفيتز ثقة شعب بني إسرائيل جميعهم. ويقال إن النازيين قد قضوا على ثلثي اليهود الأوروبيين. ولم يحدث هذا في يوم واحد. وبينما بدأت قصص معسكرات الموت والاعتقال التي تمزق القلب تظهر للجميع وبدأ يهود أوروبا يدركون أن فناءهم جميعًا بات أمرًا وشيكًا، فلم يملكوا إلا أن يسألوا أنفسهم هذا السؤال "هل يريد الله أن يخلي هذا العالم من شعبه المختار؟ وكيف يعقل أن نواجه الفناء من العالم ونحن أتباع التوراة الملتزمين بالتلمود في سلوكهم الحياتي، وعلى الرغم من ذلك لا نرى أي عون من الله في أي مكان؟". بل إن بعضهم بدأ يشك في وجود الله أساسًا. "هل القصة المجيدة عن بني إسرائيل التي يسمعونها دائمًا ما هي إلا خيال لا أساس له في الواقع؟".

وبالفعل، أصاب واقع أوشفيتز الفكر الديني لبني إسرائيل بكارثة؟ وحتى بعد ذلك، لم يكن هذا الشعب الذي يعيش في ماضيه المقدس على استعداد للقيام بإعادة تقييم حياتهم الدينية. ولم يكن هذا هو التحدي الأول الكبير الذي واجهوه؛ فبعد ظهور المسيح والتدمير الثاني لمعبد سليمان ومنذ تلك اللحظة وحتى يومنا هذا، كانت حياة هذا الشعب رحلة من المعاناة والإهانة المستمرة. وأينما ذهبوا، كانوا يتعرضون للإهانة والذل. وما إن يسكنوا أي مكان، إلا وكان عليهم أن يتركوه نتيجة لعداء أهل هذا المكان المحليين لهم. وكان من الواضح أن الله عندما حرم هذا الشعب من بركاته ونعمه أصبح من الصعب على هذا الشعب أن يجد مكانًا مريحًا في العالم بأسره. وقد كان بينهم عدد ليس بقليل من العلماء والمفكرين والفنانين أو الحكماء. فقد اعتادوا على العمل الجاد، ولم يكونوا أقل ممن حولهم في الإنجازات العقلية والوجدانية. وقد عرفوا جيدًا كيف يكتسبون الثروة وكيف ينفقونها. ولكن عندما يقوم الله بحرمان شخص ما من بركاته ونعمه، فليس بمقدور أعقل البشر أن يفعل شيئًا حيال ذلك. وللأسف، لم يستطع عقلاء بني إسرائيل أن يقرءوا الرسالة الواضحة المكتوبة على الجدران. ونتيجة لزعمهم بأنهم الورثة الحقيقيون لداوود وسليمان، فما زال بنو إسرائيل يخدعون أنفسهم باعتقادهم أنهم شعب الله المختار، ولن تكتمل رحلة التاريخ بدونهم. وفي العصر الحديث وبعد إنشاء دولة إسرائيل عندما شنوا الهجمات المفاجئة على العرب الغافلين عام 1967 وسجلوا نجاحًا غير عادي في معركة الأيام الستة، بدأوا يستشهدون بهذا النصر على أن الله قد عاد مرة أخرى ليساندهم.



ولكن ما زال علماؤهم الذين يخافون الله يصرخون من أبراجهم العالية ليؤكدوا أن وجود دولة إسرائيل لا يتفق مع ما جاءت به التوراة، ولا يستطيع أحد أن يجد أي إشارة إلى التعاليم الواردة في التوراة بين هذا الشعب. وتستمد دولة إسرائيل وجودها من الخيانة والاحتيال والقمع والبربرية، حيث تنتهك تعاليم التوراة يوميًا نتيجة للمكائد التي تدبرها الحكومة. كيف يمكن أن يساند الله هذه الدولة المناهضة للتوراة؟ إن الشعوب التي تفضل أن تعيش في الماضي ترفض أن تقوم بعمل أية عملية إعادة تقييم حقيقية، حيث توجه كل جهودهم نحو عرض تفسير للموقف بطريقة تنقذهم من عمل شيء كهذا. وإذا نظرنا إلى القضية بعينين مفتوحتين وعقول يقظة فسوف ندرك أن موقف المسلمين الحالي لا يختلف كثيرًا عما ذكرناه آنفًا. ولسوء الحظ، فقد تعودنا على الاعتماد بكثرة على التفسيرات المختلفة. وبدلاً من الإمعان بدقة في إخفاقاتنا على مختلف الجبهات، فقد اخترنا أن نخدع أنفسنا بالحجج التي تناسبنا والتي تساعدنا على أن نغمض أعيننا عن حالنا الذي يُرثى له.

في هذه اللحظة الحرجة من التاريخ، إذا أصررنا بعناد، مثلما فعل اليهود، على تفسيراتنا التي قدمنها حسبما تهوى أنفسنا، عندئذ لن تكون نهايتنا مختلفة عن نهايتهم، لأن أفضليتنا، سواءٌ كنا يهودًا أم مسلمين، إنما تنبع في واقع الأمر من التزامنا بالوحي الإلهي. فعندما كان اليهود يتبعون التلمود بإخلاص ظل تفوقهم على العالم لا ينازعهم فيه أحد، ولكن عندما بنوا سياجًا من التفسيرات الكهنوتية حول التوراة، وعندما بدأ التشريع الذي أنتجه رجال الدين يحكم حياتهم الدينيه بدلاً من التوراة، وحازت مجموعات المشنا والجمارا ومجموعات كتب الصلاة وكذلك كتب البركة على المكانة الرئيسية عندهم، عندئذ زاد ضعف علاقتهم بالوحي الإلهي أكثر فأكثر. وأصبح ما تبقى من التوراة سجين الشروح والتفسيرات البشرية مما أدى إلى التناقص التدريجي للإخلاص الديني، بل واختفت التقوى الحقيقية، ولم تبق سوى الطقوس الدينية. وأصبح اليهود متشددين في مراعاة تفاصيل الطقوس، لدرجة أنهم ألفوا مجلدات فقهية كبيرة حول أبسط أمور الحياة العادية. وقد أثقلت شروح الحاخامات للتوراة كاهل الحياة الدينية لبني إسرائيل، فقد ذهب علمائهم وفقهائم إلى حد أن أعلنوا أنه طالما أن الله قد أوكل التوراة لبني إسرائيل، أصبح لهم الحق المطلق فيه بشأن الأمور المتعلقة بالشرح والتفسير. فقد اعتبر اليهود أن شرح الحاخام أكيفا للتوراة أصدق من شرح موسى له. وهذا الدين الذي أنشأه الفقهاء، يتساوى اليوم مع يهودية الحاخامات دون أية تحفظات؛ وقد يُعرف باسم دين موسى ولكن الحقيقة هي أن علاقته حتى مع ما بقي من التوراة، واهية جدًا. فاليهودية في شكلها الحالي، والتي أسس الفقهاء اليهود معظمها، لا يمكنها أن تنتج نفس التأثير الذي كان لدين موسى؛ فالاختلاف الجوهري بين الدين الفقهي والدين الذي أوحاه الله يكمن في أن الدين الموحى من عند الله موجّه ليملأ قلب الإنسان وعقله بالإخلاص لله جل وعلى، بينما يقع دين الفقهاء في شَرَك الجدال على دقائق الأمور وإظهار الطقوس المظهرية التي لا تخلق إلا إخلاصًا واهمًا. فالوحي الإلهي يضيء التاريخ ويقدم للمستمسكين به مفتاح أسراره؛ بينما يظل الفقهاء والحاخامات، من باب حرصهم الزائد، مستمرون في وضع الزيادات التي لا تنتهي حوله، حتى إن لب الوحي الإلهي يضيع



في النهاية مع تراكم هذه التفاصيل. وتدريجيًا يعمل الاعتماد المتزايد على رجال الدين على إبعاد المجتمع عن بهاء الوحي الإلهي، وعندها تكون التفسيرات البشرية للوحي الإلهي والتعقيبات عليه المحرك الرئيسي الدافع للحياة الدينية بشكل كبير. فمصير بني إسرائيل فيه عبرة لنا، حيث يمتلئ القرآن الكريم بقصص حول مصير بني إسرائيل. وإذا اخترنا أن نُبقي أعيننا مفتوحة، عندئذ يمكننا أن نحاول بسهولة ويسر أن نجد إجابة في هذه القصص على سبب حرماننا من المكانة المميزة التي كنا نتبوؤها عن حق والسبب الذي جعل الله يحرمنا من أنعمه؟!



المجلس الإسلامي الدولي

يعيش العالم الآن حالة من الاضطراب، ومما يزيد الأمر سوءًا أن الأمة الإسلامية والتي كان يجب أن تتولى أمر هذه الحالة المحزنة تمر بحالة من الفوضى التامة. وقد أدت حالة الفوضى التي يعاني منها العالم الإسلامي بشأن مسيرته المستقبلية إلى وقوع العالم تحت رحمة من ليس لديهم أدنى فكرة عن الهدي الإلهي ولا يحترم هذا الكوكب الذي نعيش عليه أو أي من سكانه. لقد أصبحنا أسرى موقف، حيث أدت بنا البراعة التقنية وما صاحبها من عولمة كافرة غافلة لا أخلاقية إلى الإخفاق العالمي حتى غدونا، نحن سكان هذا الكوكب، لا ندري إلى أين يأخذنا المسير أو إلى أين يمكننا الفرار؟

وفي التاريخ المعاصر، هناك دور خاص منوط بالأمة المحمدية أتباع آخر رسالات السماء إلى الأرض، فهي الأمة التي أمرها الله ورسوله بمعالجة كل العلل والأسقام التي تنتاب البشرية في المستقبل، وعلى الرغم من توضيح القرآن الكريم للمنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون، فهم يقبعون على هامش التاريخ، ولا يرجع ذلك أساساً إلا إلى أوهام نسجتها خيالاتهم؛ أولاً: بدلاً من أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم "خير أمة أخرجت للناس" وأنهم مصدر الهدى بين الأمم، تاهوا بين صراعاتهم الداخلية بالنظر إلى كل شيء من زاوية مجتمعية، وبدا لهم العالم الذي تولوا مسؤوليته مقسوماً إلى دار الإسلام ودار الكفر مع محو هذا القسم الأخير تقريبًا من حساباتهم.

ثانيًا: كان ظهور الفكر الفقهي بين المسلمين والذي ينظر للأشياء على أنها إما أبيض وإما أسود وذلك من زاوية مجتمعية قد دفعهم إلى اعتبار "الآخرين" غرماء واعتبار أنفسهم مجرد أمة أخرى يمكنها تحيا حياة إسلامية في معزل عن غيرها.

ثالثًا: لقد أغفلوا حقيقة أن الأمة بأسرها لها دور قيادي وأن هذه المهمة العظيمة تتطلب منهم الحفاظ على علاقة حية بالوحي والتنزيل وأن يكونوا دوماً في حالة يقظة ومراقبة لمسيرة التاريخ، ولكن مما يندى له الجبين أن الجماهير المسلمة قد فقدت تدريجيًا تواصالها مع الوحي القرآني؛ وعهدوا بتلك المسؤولية انفراداً إلى مجموعة من العلماء التخصصين في تعلم القرآن وانزوت الأمة بدورها لتخلد إلى الراحة معولة على ما يصدره العلماء من فتاوى تمثل الأحكام الدينية؛ ومع ذلك، لم يستطع حتى العلماء

القيام بدورهم كما ينبغي حيث أنهم وقعوا في شرك الفهم الخاطئ لبعض الأفكار الأساسية الخاصة بطبيعة المعرفة ذاتها نتيجة لمعارضتهم العمياء للمعرفة العلمية والتفكير المنطقي، وعكوفهم على النظر إلى ما كتبه السلف أو رووه في فتاواهم على أنه المصدر الأسمى للمعرفة الإسلامية والتي يتعين على الأجيال اللاحقة ألا يحيدوا عنه؛ وكان هذا الموقف من الإجلال تجاه السلف علامة على انغلاق العقل المسلم، وكما فعل اليهود الذين غضب الله عليهم وفقدوا دور الريادة نتيجة لازدرائهم للهدي الإلهي لم نجد نحن المسلمون خيارًا سوى تقليد الآخرين فأصبحنا نسخة من اليهود الذين غضب الله عليهم وحولهم إلى قردة، بل ومثالاً حيًا على التحول إلى قردة خاسئين.

رابعًا: يمثل ظهور فئة من الرهبان بدعة في الإسلام، والذي كان في الواقع بداية ظهور العقل الرباني الذي حول دين الله البسيط إلى نظام معقد قاصر على المختصين بالدين أو الفقهاء أو من يمكن أن نقول عنهم إنهم أحبار أو رهبان الإسلام.

وفي الوقت الذي ظل فيه المسلمون على قناعة بأن العلماء قد أخذوا على عاتقهم الاهتمام بالمسؤوليات التي كانت على عاتق الرسل وجعل الأمة على اتصال بالوحي الإلهي، على النقيض من ذلك، اعتقد العلماء أن السلف قد استخرجوا كل شيء من القرآن وأنه لا يوجد شيء جديد يمكن العثور عليه في مجموعة النصوص الفقهية، وأعلن بعض علماء الإسلام الأفذاذ صراحة أنه لا شيء تقريبًا باقٍ يمكن أن نتدبره بعقولنا وأن وظيفة العالم الوحيدة هي تعريف المسلمين بما قاله السلف أو كتبوه حول أي موضوع بعينه. وقد بدا للكثيرين أن الهدف الوحيد للعقل البشري هو تغطيته بطربوش أو قبعة.

خامسًا: العلماء الذين يدعون أنفسهم "مندوبو النبي" جعلوا أنفسهم في المرتبة التالية للرسول. وقد اقترن هذا الادعاء الحصري بأنهم الورثة الوحيدون لميراث النبوة بالتبرير الخاطئ للترتيب الهرمي للسلطة الدينية من خلال الآية القرآنية

﴿ ... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ... ﴾ (النحل 43)

مما أعطاهم سلطة فوق الوحي. ووسط الاختلاف الفقهي على دقائق الأمور ضاع جوهر الطاعة بالإضافة إلى اكتساب نطاق المعرفة وطبيعتها بين المسلمين معنى الجيتو اليهودي. ولم يعد العالِم بين المسلمين هو الشخص الذي يشير إليه القرآن بأنه الذي يُصعق بالخشية من الله عند التفكر في دلائل وجود الله في الكون، ولكن أصبح سيد المناظرات على صغائر الأمور الذي يتحرك في نطاق قضايا إسلامية محدودة.

لقد أدى تردي حال الأمة الإسلامية وتخليها عن الوحي الإلهي إلى دفع مسيرة التاريخ الإنساني إلى وجهات مجهولة. وبما أن العالم الجديد قد أُنشئ غافلاً عن الهدي الإلهي، فإنه يحمل بين طياته عدد لا حصر له ولا يمكن تحمله من المخاطر. وقد قادتنا أغلب خطط التطور الخاصة بنا إلى موقف فلت فيه زمام الأمور من أيدينا. فها نحن نقف متفرجين صامتين نراقب الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، بل لكرامة البشرية بأكملها في شتى أسقاع العالم. ولقد غدت أيدي الرأسمالية القاسية التي لا ترحم في حالة نشاط جم الآن باسم العولمة، مما يعطينا الشعور السيئ والجنوني بعدم وجود أي ملاذٍ آمنٍ يمكننا الفرار إليه. ولقد جعلنا نظام الضرائب المثقل دائمًا سجناءً أبديين في كوكب منهك بيئيًا يحوم فيه خطر الدمار النهائي نتيجة استخدام الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى التي صنعها الإنسان. فباختصار نحن مجبرون على أن نحيا في جو ملئه الخوف الدائم من المستقبل في عصر غير متوازن عالميًا.

وبسبب فداحة الأزمة فان النفوس المؤمنة في الديانات والثقافات المختلفة في جميع أنحاء العالم قد فطنت أخيرًا لخطورة الموقف؛ حيث أصبح هناك وعي متزايد بأنه لا يوجد سوى كوكب واحد فقط تحت تصرفنا، فإذا كان لزاما علينا خلق مستقبل لهذا الكوكب فإننا لا نستطيع أن نتجاهل المبادئ الإلهية للعيش في وئام مع الطبيعة. في الحقيقة، لقد تحولت الدعوة إلى تحرير العالم من براثن القيادة المتمردة إلى صيحة عامة في يومنا هذا؛ حيث خرجت الملايين من البشر في السنوات الأخيرة إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة للتعبير عن معارضتهم الشديدة لهذا النظام الرأسمالي الذي لا يعرف الرحمة ومخططاته التي لا حدود لها والتي تهدف إلى الحرب والدمار. وما زال الجدل محتدما بين المنتمين للعقائد الدينية المختلفة ومن يخشون الله ومحبي المستقبل والأملين في الحياة من عباد الله بشأن ضرورة حدوث تغيير في قادة هذا العالم، بحيث يأتي عباد الله الطائعون في المقدمة ليتولوا قيادة عالمنا وتوجيهه. وتتركز مناظراتنا ومشاوراتنا حول العديد من القضايا الشائكة في المنتديات التي تضم العديد من العقائد، والاجتماعات الحاشدة المناهضة للحرب، ومنتديات السلام والتجمعات البيئية بشأن هذا الموضوع. ولم يحدث أبدا في التاريخ البشري أن تكون لدى الإنسان الرغبة الشديدة في توجيه الكوكب بشكل جديد والإصرار على الإطاحة بالنظام العالمي والتحرك بطريقة متناسقة يدًا بيد مع الآخرين من أجل تحقيق ذلك، بصرف النظر عن اللون أو العقيدة. وتوجد الملايين من الآذان اليقظة التي تنتظر بشغف سماع كلمة عزاء والدعوة إلى القيام بعمل متفق عليه ومشترك وعالمي – أو إلى "كلمةٍ سواءٍ" كما يقول الله في كتابه العزيز. ولكن أين هؤلاء الذين يدعون تأييد هذه الخطة العامة للتحرك العالمي أو معتنقي الرسالة الخاتمة؟

والقرآن، شأنه في ذلك شأن الكتب السماوية الأخرى، يشبه الموارد الطبيعية التي يستفيد مها الجميع فهو يعتبر بمثابة كنز عام لجميع البشر. وهذا الكتاب بالغ الأهمية لا يمكن أن نعتبره مجرد كتاب ديني خاص بالمسلمين فقط؛ وليس من حق أي مجموعة من البشر أن يخصوا أنفسهم بحق تفسير القرآن الكريم مهما بلغت



منزلتهم الدينية أو الاجتماعية أو النفسية. والكتاب الذي يتوقف عليه مستقبل البشرية؛ يستحق بكل تأكيد تناولاً أفضل من فلا نتركه بالكامل بيد مجموعة قليلة من العقول البشرية غير المعصومين. والقرآن الكريم لا يحتاج الى أي تعليق فهو – كما يتحدث عن نفسه – كتاب هدى ورشاد لكل من يبحث عن السلوى

(... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾) (البقرة 2).

ومن الملاحظ وضوح أسلوبه وقدرة لغته على التواصل مع جميع البشر بشكل مثالي؛ فكلام الله بكل تأكيد لا يحتاج أي سلطة من البشر لتأكيد معانيه، ولكنه يتطلب منا نحن البشر أن نخضع بلا قيد أو شرط لما يأمرنا به، بدلاً من تفسيره على هوانا. ولأن القرآن الكريم هو بمثابة رسالة عامة من الله للبشر أجمعين؛ فإن الأمة الإسلامية مطالبة بقوة وبسرعة أن ترفع وصايتها على هذا الكتاب وتقدمه على أنه رسالة هدي عامة للبشر كافة.

وليس المسلمون فقط هم المطالبون بالنظر إلى الإسلام وكتابه الكريم نظرةُ غير تقليدية ، فجميع من يعبد الله وحده ويرغب في أن ينال نعمه وهدايته لا يمكنهم تجاهل القرآن إلا على مسؤوليتهم. كيف يمكن لأحد أن يتجاهل رسالة من نفس الإله الذي يزعم أنه يطيعه وأنه يسلم أمره إليه. إن أولئك الذين يخشون الله يحتاجون منهجًا شاملاً؛ ويجب أن نؤكد على أن الإسلام ليس هو دين المسلمين وحدهم؛ فإنه ميراث مشترك لنا جميعًا. إن الإسلام هو دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف و داؤد وسليمان وموسى وعيسى ودين أولئك الأنبياء الذين لا حصر لهم ممن قاموا بدعوة البشر إلى عبادة الله وحده ودخلوا تحت مظلة التوحيد. ويجب علينا أن نؤكد على أن الإسلام ليس شعارًا أيدولوجيًا يمكن رفعه؛ أو شيئًا مثل نجمة داود؛ ولكنه خضوع مطلق للإله الواحد. إن انتصار الإسلام يجب أن يضمن عودة الفكر السليم لعالمنا مما يعطينا شعورًا بالراحة والحرية، وهو بالطبع يجب ألا يصل إلى حد إخضاع الأمم الأخرى للمسلمين؛ لأن فعل ذلك سينفي رسالة الإسلام نفسها. وباختصار؛ فإن انتصار الإسلام سوف يعني عودة النقاء إلى عالمنا.

ولا شك إن هذه لمهمة ضخمة، ونحن كمؤمنين بهذا الدين الخاتم ملتزمون بإنجاحها؛ كما نؤمن بأن هذا المشروع ليس مشروعًا اجتماعيًا فحسب ولذلك كان لزامًا علينا أن ندعو للمشاركة من الخارج – من جميع أولئك الذين يشاركوننا أمالنا وأحلامنا؛ وذلك كما أمرنا المولي عز جل في كتابه العزيز:

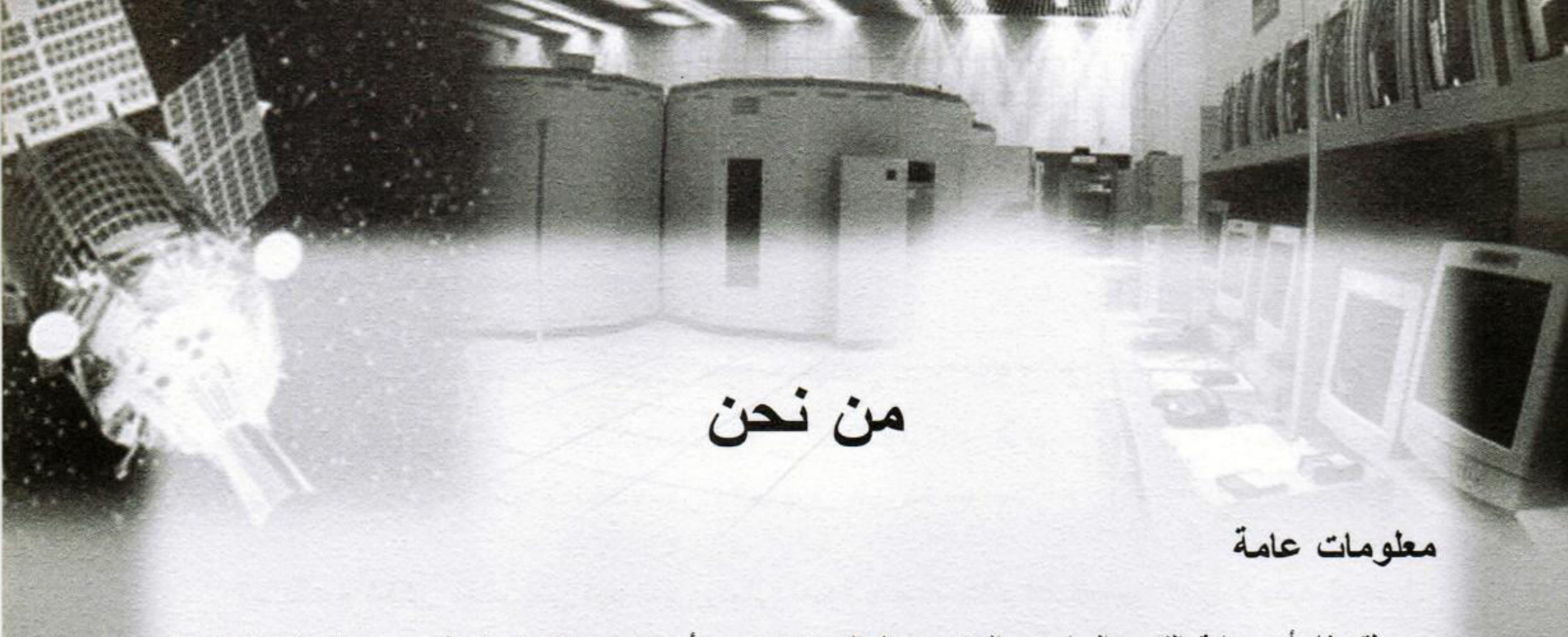


﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(آل عمران: 64).

هذه إذن هي الخلفية الأيديولوجية التي يقوم على أساسها المجلس الدولي للإسلام الذي نقترحه وهذه الفكرة لا تعني استقطاب المسلمين التقليديين وحدهم ولكن تعني صياغة تحالف فعال من جميع المؤمنين بالله في جميع الرسالات السابقة أيضًا. وسيكون هذا المجلس أعظم من مجرد منبر بين الرسالات؛ ولكنه سيكون منتدى عالمي حقيقيي لمن يؤمنون بالله إيمانًا مطلقًا. إننا ندعو القيادات الدينية وكبار الشخصيات في عالم الأعمال والمفكرين السياسيين والاجتماعيين وكبار صناع القرار والصفوة الحاكمة والمفكرين المستقلين لكي يتحدوا من أجل سعادة وخير الإنسانية أو كما ذكر القرآن؛ من أجل استباق الخيرات.

وسوف يعقد المجلس من وقت لآخر جلساته بصورة منتظمة في أماكن مختلفة من العالم. وبينما يجري الإعداد لهذا المجلس؛ نود أن نعرف ما هو رأيكم في هذه المبادرة.



من نحن

معلومات عامة

لقد فاجأت بداية القرن الحادي والعشرين العالم الإسلامي بأحداث عنيفة، فبسقوط برجي التجارة العالمية في ولاية نيويورك سقط العالم الإسلامي في براثن أزمة كبيرة. وقد أسقط في يد الكثيرين منا أن مفكرينا وعلمائنا قد وقعوا على حين غرة في شرك تأييد الحرب التي قادتها أمريكا ضد الإرهاب. ثم يأتي مسلسل الحرب اللاشرعية واللاأخلاقية على العراق عقب الكارثة الأفغانية، ثم تتمر آمريكا بدول إسلامية أخرى بحيث لم يترك أمام الأمة الإسلامية خيار سوى التفكير والتأمل في السبب الذي يقف وراء كل ما يحدث لنا والملاذ الذي يمكن الفرار إليه، وهل تخلى الخالق - سبحانه وتعالى- عن خير الأمم والتي كان من المفترض أن تقود التاريخ حتى نهاية الزمان. وقد انتاب الكثير من المفكرين المسلمين شعور غير مسبوق بتفلت عنان التاريخ من أيدينا، وأن تخبط فكرنا بدرجة أكبر من الصورة المشوشة التي نراها بأعيننا قد غدا شعورا مشتركا حتى بين أولئك الذين لا تتوافر لديهم القدرة على الإفصاح عن ذلك الشعور، وأن العقل المسلم في حاجة إلى إحيائه، وأن الوقت قد حان للرجوع لشرع الله، أصبح شعورًا سائدًا، بالرغم من أن الكثيرين منا قد لا يعرف تمامًا السبيل إلى تحقيق ذلك. وانطلاقاً من ثقتهم برحمة الله وبوعده لعباده قرر مجموعة من مفكرى المسلمين بتناول القرآن تناولاً عصرياً.(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

ورأى المسلمون في أرجاء المعمورة أن الأمر يمثل ضرورة ملحة لإنقاذ هذا العالم من فاشية الحضارة التي إن لم يكبح جماحها على الفور قد تحول العالم بأسره إلى خليج جوانتانامو آخر، وقبل إطلاق الموقع في شهر سبتمبر من عام 2004 بفترة طويلة، وصل رئيس تحرير "فيوتشر إسلام" ورفاقه إلى نتيجة مفادها أن الوحدات الممثلة لحضارات العالم المختلفة يجب أن تقوم بواجبها على أكمل وجه لتشكل مجلسًا حراً يضم الأفراد المفكرين وصانعي السياسات والعقول النابهة من الناحية الفكرية في جميع بقاع الأرض.

وباختصار شديد، فإن الهدف من إنشاء موقع "فيوتشر إسلام" هو أن يكون منتدى عالميا تتضافر فيه جهود نبهاء العالم لتشكيل مستقبل أفضل قوامه التمسك بكتاب الله ونبذ التفسيرات التي تثير الريبة؛ فهذا المنتدى يدعونا جميعاً إلى الرجوع إلى الله ورسوله. ولما كان الموقف الذي نعيشه الآن قد أصبح أكثر ملائمة عن ذي قبل، فإننا نؤمن بأن الوقت قد حان للوفاء بما وعدنا به من تكوين نظام عالمي حقيقي- دعوة الأنبياء جميعاً - يلتزم بأدائها أناس يتحلون بالجراءة والإقدام مما يجعلهم يقبلون التحدي الذي جاءت به الرسالة الخاتمة، ولذا فيجب أن يظهر "فيوتشر إسلام" كمشروع حضاري رئيسي.

إرشادات تقديم المشاركات المكتوبة

انطلاقاً من سعينا وراء إجراء مناظرة داخل العالم الإسلامي، يتناول "فيوتشر إسلام" نطاقاً عريضًا من القضايا المرتبطة بمستقبل عالمنا المضطرب؛ وبذلك يشجع الفكر الواضح والأفكار المبتكرة بلغة إنجليزية بليغة يستمتع بقراءتها المتخصصون والجمهور على حد سواء.

إننا نشجع التفكير القائم على فهم الدين ونولي أهمية خاصة بكلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما جاء في القرآن الكريم، إلا أننا لا نتنكر للأيديولوجيات والرؤى الأخرى، ولذا فإن منتدانا هذا يفتح بابه أمام كل من تتحلى مؤلفاته وتفكيره بالفكر السليم؛ ولا يعني وجود تلك المناظرة داخل الأمة الإسلامية المناط بها قيادة التاريخ أننا سنغلق أبوابنا أمام الآخرين، بل على العكس من ذلك، فإن هذه المناظرة الداخلية لها بعد خارجي هدفه إصلاح الضرر الذي عانت منه الإنسانية بسبب التفكير الذي يشوبه النقصان، واستعادة وعي ومجد أسرة إنسانية أعظم.

إننا نتوارث عالماً واحداً، ولذا فالانشغال بمحنة الإنسانية مسؤولية تقع على عاتق كافة المؤمنين بالله، أيا كانت الحضارة التي يمثلونها، ومن ثم يقف هذا المنتدى مفتوحًا أمام المسلمين وغيرهم ممن يؤمنون بالرسالات الأخرى وغير المسلمين على حد سواء، كما جاء في القرآن:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ... (٦٤) ﴾

نرحب بالمقالات ضمن هذه الأقسام

(أ) **المقالات الرئيسية:** المقالات التي تهدف إلى خلق نقاش حول قضايا معينة يجب أن تتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف كلمة.

(ب) **رؤى:** يجب أن تتراوح بين أربعة وخمسة آلاف كلمة وتهدف إلى تسليط الضوء على فكرة بعينها. والكتب الجديدة أي المقالات الطويلة يتم استعراضها ضمن قسم المقالات. وتضم تلك المقالات التي تتكون من ألفين كلمة والمقالات القصيرة التي تتكون من خمسمائة كلمة تقريبًا. ونشجع المراسلة على وجه الخصوص والتي تتضمن تعليقات القراء حول المواد التي تم نشرها مسبقًا، وهناك أيضًا قسم خطاب إلى المحرر، ويمكن تعديل الخطابات التي تحتوي على خمسمائة كلمة تقريبًا لتناسب المساحة وتتحلى بالوضوح.

ونشجع تقديم المشاركات عن طريق البريد الإلكتروني، كما نرحب أيضًا بالمواد المكتوبة بشكل منسق عن طريق البريد العادي.

الرجاء إرسال المواد عن طريق البريد الإلكتروني مع خطاب تقديم إلى edit@futureislam.com أو إرسالها عن طريق البريد التقليدي.

يجب إرسال جميع المشاركات مصحوبة بموجز قصير عن المؤلف ووجهة نظره فيما يدور على الساحة الفكرية والعامة والمؤلفات الحديثة وخطة مستقبلية إن أمكن، فنحن نعتمد على المعلومات التي يقدمها المؤلفون، ولهذا فهم مسؤولون مسؤولية أخلاقية عن صحة المعلومات التي يقدمونها؛ ولا نريد أن تبدو الصحيفة كمشروع أكاديمي صرف يخاطب المتخصصين، إلا أننا في بعض الأحيان نحترم الهوامش إذا كان هناك حاجة حقيقة لها.

الطبعات الدولية

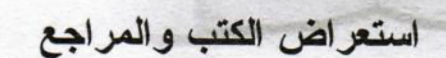
يصدر موقع "فيوتشر إسلام" بثلاث لغات، والهدف من اختيار هذه اللغتين هو خلق وسيلة لربط العقل المسلم في شتى بقاع العالم؛ ومن اللغات الأخرى التي تم اختيارها ليتضمنها "فيوتشر إسلام" قريبًا: التركية والبنغالية والفارسية.

"فيوتشر إسلام" باللغة الأردية

تحتوي النسخة الأردية على جزء مترجم مأخوذ من نسخة "فيوتشر إسلام" الإنجليزية، بيد أن الجزء الأكبر يتكون من مؤلفات مكتوبة أصلاً باللغة الأردية. والهدف من هذه النسخة هو إطلاع المفكرين والعلماء عليها في الهند وباكستان وبنجلاديش والمتحدثين باللغة الأردية المنتشرين في جميع أنحاء العالم والبالغ عددهم سبعمائة مليون نسمة تقريبًا.

"فيوتشر إسلام" باللغة العربية

يلعب المفكرون والعلماء العرب دورًا محوريًا في أي مناظرة تُجرى داخل العالم الإسلامي، ولهذا يتم ترجمة المقالات المكتوبة باللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، ومن ناحية أخرى يتم ترجمة الكتابات الإنجليزية والأردية التي تثير الاهتمام إلى اللغة العربية في الوقت ذاته، كما أن هناك مجلس للمناقشة تم إنشائه خصيصًا للتعبير عن طموحات الجماهير العربية.



يقوم موقعنا شهريا بترشيح عدد من الكتب التي تتناول قضايا إسلامية بالغة الأهمية واستعراضها؛ كما نرشح لقرائنا المراجع التي يمكن الرجوع إليها إذا عذب عليهم أمر في بعض القضايا، وهذه والاستعراضات متاحة باللغات الإنجليزية و الأردية و العربية.

وينصب اهتمام استشاريو موقعنا على انتقاء كل ما هو جديد ومثير فكريا.

الكتب المختارة:

يحتوى أرشيفنا على نخبة منتقاة من المؤلفات الأصيلة التي ساهمت بشكل كبير في إثارة الجدل داخل العالم الإسلامي؛ كما إننا نقوم دائما بتحديث قائمة من الكتب المختارة باللغات الإنجليزية والأردية والعربية، قام بكتابتها عدد من المؤلفين المسلمين البارزين، وأولئك الذين يتبنون برنامج فيوتشر إسلام.

الإصدارات السابقة:

الإصدارات السابقة التي نشرناها متاحة للتصفح والاستعراض على موقعنا مجانا؛ كما إننا نقوم من وقت لآخر بنشر نسخ مطبوعة من المقالات الهامة.

من فضلك قم باستكمال استمارة طلب نسخة مطبوعة من المقالات التي تم نشرها وأرسلها على العنوان التالي:

Bariz Media Pvt. Ltd.
Suite 201, Milli Times Buildings,
Abul Fazal Enclave I, Jamia Nagar,
New Delhi-110025 India
Tel: +91-11-26926246
Fax: +91-11-26325499
E-mail: edit@futureislam.com

رؤيتنا

رؤيتنا من خلال موقعنا (فيوتشر إسلام)

لا يقف الإسلام، كمادة إعلامية، عند حد التأثير في عالمنا بل أيضا يؤثر في رؤيتنا لهذا العالم؛ وهذه الحقيقة ستظل قائمة طالما أن المسلمين يقولون إنهم وجدوا في هذا العالم لبسط سيطرتهم عليه وعلى تاريخه حتى النهاية. وفي خضم هذا الفيض من المواد الإخبارية التي تتناول الدين الإسلامي، يعجز الناس في اغلب الأحيان عن الوصول للحقيقة؛ فغالبا ما يرى الناس الأحداث التي تجرى في العالم الإسلامي بمنظور خاطئ، وغالبا ما يسيئون فهم العقل المسلم؛ ومن ثم فموقعنا "فيوتشر إسلام" يوفر لزائريه وجهة نظر صحيحة يستطيعون من خلالها رؤية وتحليل تلك الأحداث التي تجرى من حولنا.

تستطيع مراجعة المصادر الموثقة في أرشيفنا الموثق توثيقًا جيدا إذا أردت أن تحيط علما بصلب الموضوع محل النقاش.

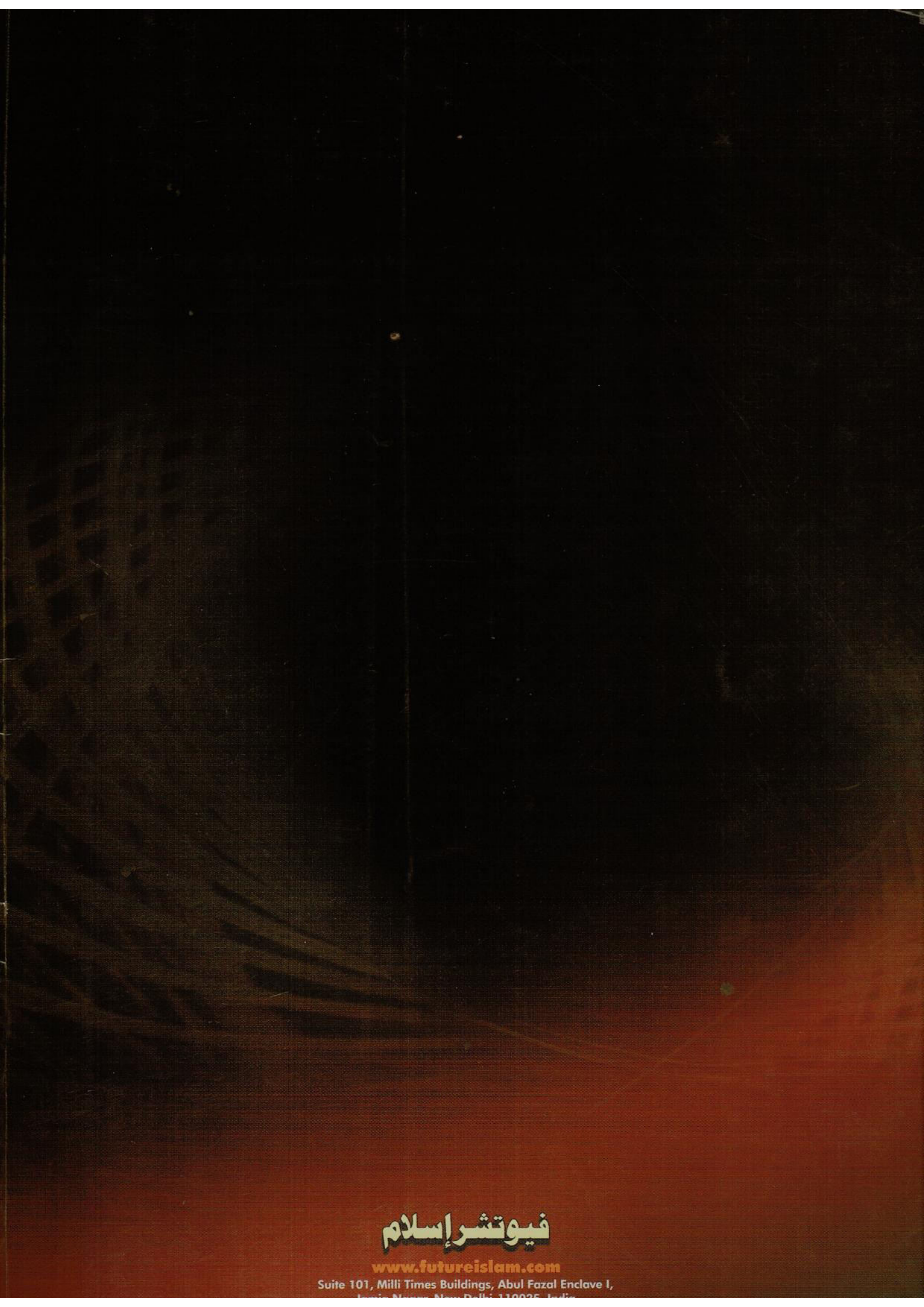
سياسة الخصوصية

نضمن لكافة زائري موقعنا الذين يقومون بإدخال عناوين بريدهم الإلكتروني أو الذين يقومون بملء النموذج المطلوب للالتحاق بأي من منتدياتنا اتخاذ كافة الاحتياطيات اللازمة لضمان عدم إساءة استخدام عناوينهم أو إعارتها لأي من الهيئات التجارية.

وسوف يقتصر استخدام عناوين البريد الإلكتروني أو التفاصيل الواردة بها على إرسال نشرات إخبارية عن طريق البريد الإلكتروني أو على تنبيهات النشر أو لجذب انتباههم لحدث ذي صلة يتم تنظيمه من قبلنا أو من قبل شركة تابعة. و على الرغم من ذلك، إذا كنت لا تريد تلقي أي بريد إلكتروني منا في المستقبل، يمكنك إخطارنا بذلك عن طريق إرسال رسالة بريد إلكتروني لنا لإزالتك من موقع Futureislam.com

يقوم برنامج خادم موقعنا بتسجيل زائري موقعنا تلقائيًا، وفي بعض الأحيان، يتم التعرف على عنوان بروتوكول الإنترنت الخاص بالزائرين عبر ملفات المسار لأغراض إحصائية فقط.

وأحيانا يطلب منك عند إدخال عنوان بريدك الاليكتروني الموافقة على إعارة قاعدة بياناتك لهيئات غير تجارية مشابهة؛ وإذا وافقت على ذلك، يمكننا إعارة قاعدة البيانات لبعض الشركاء الذين يتم متابعة أنشطتهم بدقة. ونحن نرحب بكل من يرغب في الاتصال بنا لهذا الغرض.


فیوتشر إسلام
www.futureislam.com
Suite 101, Milli Times Buildings, Abul Fazal Enclave I,